أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي

في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية

تأليف
الدكتور طه فارس

مؤسسة الريان
ناشرون

أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي

في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م

أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي

في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية

تأليف

الدكتور طه فارس

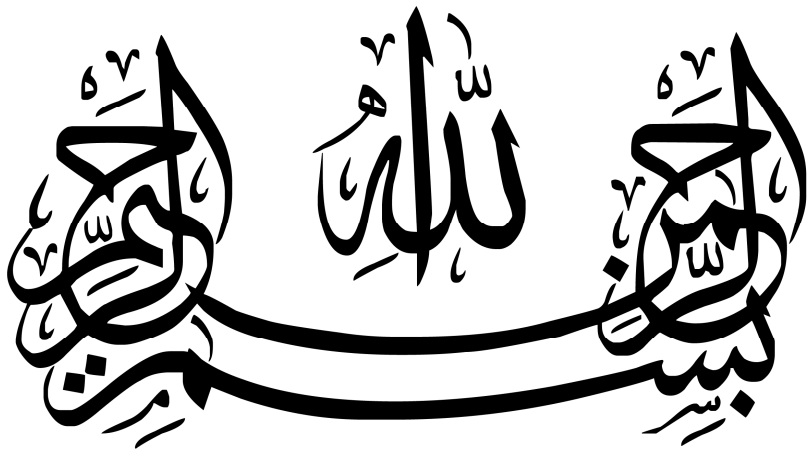
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب والشؤهادة الرحيم الرحمن، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى العدنان، الذي أيَّده الله بالوحي، وآتاه الحكمة ومفاتيح الفصاحة والبيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم القيامة بإحسان.. وبعد:

فإنَّ مما لا شك فيه أن السُّنَّة النبوية ذاخرة بالقيم الحضارية الرائعة، التي توجه الأمَّة للأخذ بأسباب التقدم والرُّقي، وتواكب تطور العلوم والمعارف الإنسانية عبر كلِّ الأزمنة، مما يؤكِّد للعالم كلِّه خلودَ رسالةِ الإسلام، وسموَ القيمِ والتعاليم التي دعا إليها نبينا عليه الصلاة والسلام، ومن هذه القيم الحضارية: الحديث عن الاستشراف والتخطيط المستقبلي في ضوء السنة النبوية، الذي هو موضوعنا.

ولكي يُبْرِز المجتمع الإسلامي هذه القيم والتعاليم الرائعة، ويستجليَ دررها وكنوزَها الكامنة، لا بدَّ من تكاتف الجهود وتعاضدِها، وإعمالِ الفكر والتأمل في نصوصها.

والدراسات المستقبلية كعلم مستقل لم تظهر إلا في منتصف القرن العشرين الميلادي، وأوَّل ما ظهر هذا العلم في أمريكا، ثمَّ في أوربا، وكانت الغاية من هذه الدراسات: الدفاع العسكري.

أما أوَّل دولة عربية اهتمت بعلم المستقبليات ودرَّسته: فهي الجزائر، وقد ظهر في عالمنا الإسلامي عدد من الدراسات التي تهتم بالمستقبل، من هذه الجهود التي وقفت عليها: بحث تكميلي لمرحلة الماجستير في جامعة الإيمان في اليمن، في كلية الدعوة والإعلام، وهو بعنوان: استشراف المستقبل في القرآن والسنة، أعده الباحث: فهمي إسلام جيوانتو، وقد نوقش البحث عام ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، وكذلك كتاب بعنوان: استشراف المستقبل في السنة النبوية للدكتور إلياس بلكا، وقد طبع ضمن سلسلة كتاب الأمة في قطر، ومنها أيضًا رسالة ماجستير بعنوان: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية للباحث عبد الله محمد المديفر، قدمت لجامعة طيبة في المدينة المنورة سنة ١٤٢٧هـ، ولم أقف عليها كاملة، ولكن وقفت على عرض لها في الموقع الإلكتروني: نوافذ، وهناك دراسة بعنوان: التخطيط للدعوة الإسلامية: دراسة تأصيلية، للباحث المولى الطاهر المكي ـ في جامعة محمد بن سعود في الرياض عام ١٤١٥هـ، ولم أطلع عليها، وبحث جامعي استكمالاً لنيل درجة الماجستير للباحث عبد الرحمن قشوع بعنوان: استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية، وقد قدم للجامعة الأردنية.

وقد أصبح لهذا العلم مبادئ ومناهج وأساليب، فمن مبادئه: الاستمرارية والتَّماثل والتَّراكم[١].

وأما مناهجُهُ فهي: المنهجُ الاستكشافي، والمنهج الاستهدافي

(١) المستقبليات والتعليم للدكتور محمد نبيه ص ١٠.

(المعياري)، والمنهج الحدسي، ونموذج الأنساق الكلية[١]...ولكن لن أطيل في الحديث عن ذلك، فليس هذا محور بحثي.

ولم تكن نصوصُ الوَحْيين من كتاب وسُنَّة خلواً من مدلول هذا العلم الحديث، ولكن لا بد من التنبيه هنا على أن استخدام مصطلحي الاستشراف والتخطيط المستقبلي في النصوص النبوية التي أخبر فيها النبي ﷺ عن المستقبل فيه توسُّع وتجوُّز، وذلك لأننا نقطع بأنَّ ما أخبر به النبيُّ ﷺ من الغيبيات هو إخبار عن وحي لا عن رأي، وإن كنَّا لا ننفي وجودَ بعض النُّصوص التي كانت بمثابة اجتهاد منه ﷺ.

ولكي يسوغ لنا استخدام هذا المصطلح الجديد في فهم النصوص النبوية التي أخبر فيها النبي ﷺ عن المستقبل، فلا بدَّ من القول بأنَّ استشراف النَّبيِّ ﷺ كان بالوحي، والوحيُ هو من أرقى وأعظم وسائل استشراف المستقبل، أما بالنسبة لنا فهو تعليم وإرشاد منه ﷺ لنستشرف المستقبل ونخطط له.

والإنسان بفطرته يتطلَّع للمستقبل ويستشرف له، مما يدفعه للاهتمام بأموره كلِّها، والحرصِ على تحقيقها مهما كانت، مما يندرج تحت مفهوم الأخذ بالأسباب الذي حثَّ عليه شرعنا الحنيف، ولعلَّ في حديث النبيِّ ﷺ ما يؤكِّد ذلك ويدعو إليه، حيث يقول ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِن الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ**

(١) انظر: المستقبليات والتعليم للدكتور محمد نبيه ص١٢ـ١٣.

شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)].

وقد عنونت لبحثي هذا بـ: (**أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية**)، وجعلته في مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولت في المبحث الأول تحت أربعة مطالب: معنى الاستشراف والتخطيط، والحديث عن المستقبل في المنظور الإسلامي، وبيان مكانة العلم والتعليم في الإسلام، أما المطلب الرابع فكان عن الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم، أما المبحث الثاني فتناولتُ فيه آثار الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم في ضوء السنة النبوية، وجعلته في مطلبين، وأخيرًا ذكرت في الخاتمة أهم نتائج البحث والتوصيات.

وقد بذلتُ في فهم الأحاديث والآثار وتوجيهها واستنطاقها ما استطعتُ من جهد، فإن أصبتُ فهذا من فضل الله وكرمه، وإن كانت الأخرى فأرجو ألا يحرمني الله تعالى أجر المجتهد المخطأ، والحمد لله رب العالمين.

وكتب:

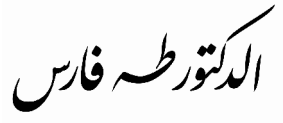

٢٩/ ٧ /١٤٣١هـ

١٠/ ٧ /٢٠١٠م

(١) أخرجه مسلم في القدر برقم ٢٦٦٤.

المبحث الأول

ويحوي أربعة مطالب، وهي :

المطلب الأول : معنى الاستشراف والتخطيط

المطلب الثاني : المستقبل في المنظور الإسلامي

المطلب الثالث : مكانة العلم والتعليم في الإسلام

المطلب الرابع : الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم

المطلب الأول

معنى الاستشراف والتخطيط

أولاً: تعريف التخطيط لغة:

أصل هذه الكلمة من خط يخط خُطَّة، والخُطَّة: الحال والأمر والخَطب، والخُطَّة كذلك من الخط[١]، ويقال: جاء وفي رأسه خُطَّةٌ، أي جاءَ وفي نفسه حاجةٌ قد عَزَم عليها، وقولهم: خُطَّةٌ نائيةٌ، أي مقصدٌ بعيدٌ[٢]، وقد ورد في حديث الحُدَيبية أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**...»[٣]، والخُطَّة هنا بمعنى الخَصلة والأمر.

أما التخطيط: فهو التسطير[٤]، وفي استخدامه المُحْدَث: وضع خُطَّة مدروسة للنواحي الاقتصادية، والتعليمية، والإنتاجية، وغيرها للدولة[٥].

أما الخِطَّةُ بالكسر: فهي الأرضُ يَخْتَطُّها الرجلُ لنفسه، وهو أن يُعْلِم عليها علامةً بالخَطِّ، ليُعْلَمَ أنَّه قد اختارها لِيبنيَها داراً[٦]، وهذا

---

(١) انظر: لسان العرب مادة: خطط.

(٢) انظر: الصحاح في اللغة، مادة: خطط.

(٣) البخاري في الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب برقم ٢٥٨٣.

(٤) لسان العرب، مادة: خطط.

(٥) المعجم الوسيط ١: ٢٤٤.

(٦) انظر: الصحاح في اللغة، مادة: خطط.

المعنى ليس مقصودًا في بحثنا.

ثانيًا : التخطيط اصطلاحًا: يمكن أن نعرِّفَهُ استنادًا للمعنى اللغوي بأنَّهُ: تَصَوُّرُ أمرٍ أو هدفٍ ممكنٍ في المستقبل، وَفق فهمٍ وإدراك لمعطيات الحاضر، مع تقدير للخطوات والمراحل التي ينبغي اجتيازها لتحقيق هذا الأمر أو الهدف.

أو أن التخطيط كما عرَّفه بعضهم: هو رَسم لصورة المجتمع في حياته المستقبلية، وتقدير لحاله في المراحل التي يجتازها خلال سعيه لتحقيق أمانيه(١).

ثالثًا : تعريف الاستشراف لغة : هو من الشَّرَف، والشَّرَف هو: العُلوُّ، والمكان العالي، والمجد، والحسب، واسْتَشْرَفْتَ الشيءَ، إذا رفعتَ بصرَك تنظُر إليه، وبسطتَ كفَّك فوق حاجبك، كالذي يستظل من الشَّمس(٢)، واستشرفَ الشيء: رفع رأسه ينظر إليه(٣).

رابعًا : الاستشراف اصطلاحًا: يمكن أن يُعَرَّف بأنَّه: التَّطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي وفهم الحاضر، والسنن الفاعلة فيهما.

وعرَّفه بعضُهم بأنَّه: الوقوفُ على رَبوة عالية لاستطلاع آفاق المستقبل المنظور، كلٌّ بحسَبِ ما يسمح به ملء بصره وبصيرته،

(١) ينظر: التخطيط للتربية والتعليم لمحمد علي حافظ ص١١.
(٢) انظر: الصحاح في اللغة، والقاموس المحيط، ولسان العرب، مادة: شرف.
(٣) أساس البلاغة، مادة شرف.

فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من الحدس التاريخي المستند إلى قاعدة علمية[١].

وهذا التعريف لا تنطبق عليه خصائص التعريف من دقة، واختصار، وشمول، ووضوح.

والاستشراف قد يكون في الخير وقد يكون في الشر، وقد أخبر النبي ﷺ عن صورة من صور استشراف الشر، فقال: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِن الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِن الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِن السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[٢].

قال ابن حجر: «تشرف لها: تطلع لها، بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها،.. قوله: «تستشرفه»، أي: تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك،... يريد من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه، وحاصله: أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها، ويحتمل أن يكون المراد: من خاطر فيها بنفسه أهلكته...»[٣].

** ** **

(١) مستقبليات التعليم ص٦٠ نقلاً عن مجلة عالم الفكر ١٨: ١٠٠٥ سنة ١٩٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في الفتن برقم ٦٦٧٠؛ ومسلم في الفتن وأشراط الساعة برقم ٢٨٨٦.

(٣) فتح الباري ١٣: ٣١.

المطلب الثاني

المستقبل في المنظور الإسلامي

أصبح الحديث عن المستقبل والتخطيط له سِمَةُ العصر، فقد ظهرت كثير من الدراسات والبحوث التي تتحدث عن المستقبل وأهمية التخطيط له، واستشراف آفاقه البعيدة، وقد ازدادت العناية بهذا الجانب العلمي بداية منتصف القرن المنصرم (١٩٤٣م)، فوضعوا له أسسًا وأساليبَ ومناهجَ.

ولكنَّ السؤالَ الذي يُطرح هو: هل للحديث عن التخطيط واستشراف المستقبل أصل في ديننا؟ وهل يتعارض مع أصول الاعتقاد والتوكُّل على الله تعالى؟ حيث المستقبل غيب، وهذا تسوُّرٌ له.

أقول: إنَّ المتدبِّر لجملة من الآيات القرآنية لَيجدُ جليًّا بأنَّ الله تعالى حدثنا عن المستقبل، وبيَّن لنا الطريق الأسلم الذي ينبغي أن نسلكه، كما حفزنا على التخطيط والاستشراف، والتَّطَلعِ لهذا المستقبل السامي، فالجنَّةُ ونعيمُهَا ورضوان الله تعالى فيها إنَّما هو مشروع مستقبل، وقد وصف الله تعالى الأتقياء الأبرار بأنَّهُم يؤمنون بالغيب، الذي لا يزال مستقبلاً بالنسبة لهم.

وأما التخطيط للأمور الحياتية، فقد حدثنا الله تعالى عن تخطيط نبيٍّ من أنبيائه، ورسولٍ من رسله، وهو سيدنا يوسف عليه السلام، وكيف أنَّه وضع خُطَّةً متكاملة لمدة خمسةَ عشرَ عامًا؛ ليواجه

الظروف القاسية التي ستمر بها مصر، فقال تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ...﴾ الآيات [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩].

وحدثنا الله تعالى عن وصفة ربانية ناجعة لضمان مستقبل الأولاد وعدم الخوف عليهم، فأمر الآباء بتقوى الله تعالى، فهي سفينة النَّجاة وسبب التوفيق والسداد والأمان في حياتهم[(١)]، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

أما السنة النبوية فقد ورد فيها جملة كبيرة من الأحاديث التي تتحدث عن المستقبل تخطيطًا واستشرافًا، بل إنَّ الدَّارس للسيرة يرى أنَّ النبيَّ ﷺ في كلِّ مراحل دعوته، وفي كلِّ قراراته كان يسير وفق خُطَّة محكمة مستبصرة مؤيَّدَة، شعارها قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

وفي هذا السياق يقول الدكتور القرضاوي: «والذي يتعمَّق في دراسة كتابِ الله، وسنَّةِ رسوله يتبيَّن له أنهما يرفضان الارتجال والعشوائية، وتَرْكَ الأمورِ تجري في أعنتها بغير ضابط، ولا رابط ولا نظام، وبيَّنَ الرسول ﷺ أن التوكُّل على الله لا يعني اطِّرَاحَ الأسبابِ، أو إغفالَ السُّنن التي أقام الله عليها نظامَ هذا الوجود...»[(٢)].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥: ٥١؛ وتفسير ابن كثير ٢: ٢٢٢.

(٢) الرسول والعلم للقرضاوي ص٤٤.

إذن فمما ينبغي التأكيد عليه هنا أنَّ التخطيط والتَّطلع للمستقبل ليس رَجمًا بالغيب، أو تعلقًا بالظنون والتَّخرُّصات، أو اشتغالاً بالخيالات المجردة الهلامية، إنما هو توظيف لمعطيات الماضي (المدروس)، والحاضر الملموس ومسبباتها، لتوقع نتائجها ولوازمها، ومن ثم رسمُ خطط العمل وتنظيمها بناءً على ذلك[١]، فهو كشف للمنهج السنني لحركة الحياة والأحياء[٢].

وليس التخطيط والاستشراف للمستقبل من قبيل التَّمردِ والإنكار للقَدَرِ، بل هو من القدر، أو هو من قبيل مغالبة الأقدارِ بالأقدار (كما يقال)[٣]، «فمغالبةُ الأقدار ليست الخروجُ والتمرد وإنكار القدر وعدم الإيمان به، بل على العكس من ذلك، فهي نوع من أرقى أنواع الإيمان، حيث القدرةُ القصوى على التسخير بالمغالبة: «نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله»[٤]،.... هذه المغالبة وهذا الإدراك المترافق مع الإيمان باطِّراد السنن هو الذي يمنحنا القدرةَ على استشراف المستقبل، والمداخلةَ في مقدماته في الحاضر، والتخطيطَ لما نريده عليه»[٥].

كما إنهما ليسا نقضًا للتَّوكل على الله تعالى، بل هما من تمام

---

(١) من مقالة للدكتور أحمد الصويان على شبكة الأنترنت في موقع المختار الإسلامي.

(٢) انظر: استشراف المستقبل في الحديث النبوي لإلياس بلكا ص١٣.

(٣) انظر: مدارج السالكين ١: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٤) كما قال سيدنا عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأبي عبيدة، أخرجه البخاري في الطب برقم ٥٣٩٧، ومسلم في السلام برقم ٢٢١٩.

(٥) استشراف المستقبل في الحديث النبوي ص١٣.

التَّوكُّل عليه؛ لأنَّهُمَا أخذٌ بالأسباب الشرعية المتاحة، فلا ينبغي إهمالُه، كما لا يجوز الاعتماد عليه والقطع بنتائجه، فقد تتخلف النتائجُ عن أسبابها، وقد يحدث من مقادير الله تعالى ما لم يكن بالحسبان، فالنبيُّ ﷺ في رحلة الهجرة المباركة إلى المدينة المنورة خَطَّطَ لها، وأخذَ بكلِّ الأسباب الممكنة لتكون هجرته في مَأمَنٍ من أذى قريشٍ وطغيانِهَا، ولكنَّ قريشًا تتبعتِ الآثار ووصل مشركوها إلى باب الغار، وبدا الحزن والخوف على الصدِّيق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حرصًا منه على رسول الله ﷺ، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ في مثل هذا الموقف الخطير يعلِّم أمتَهُ أن تخطط وتأخذَ بالأسباب الممكنة ولا تعتمد عليها، فيقول لصاحبِه مقالةَ المطمئنِ الشجاع، الواثقِ بستر الله تعالى وحمايته: «**يا أبا بَكرٍ مَا ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهُمَا**»(١).

وفي هذا السياق يقول ابن تيميَّة رحمه الله: «قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحوُ الأسبابِ أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراضُ عن الأسباب بالكلِّيَة قدحٌ في الشرع، ومجردُ الأسباب لا يوجبُ حصول المُسَبَّبِ»(٢).

ولعلَّ جلب المصالح ودرء المفاسد في العاجلة والآجلة، والأخذ بأسبابها، هو من أبرز المقاصد الشرعية التي تؤكِّدها النصوص القطعية وتدعوا إلى تحقيقها، والاستشراف والتخطيط المستقبلي إنما يرمي لتحقيق هذه المصالح المرعية شرعًا وعقلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب برقم ٣٤٥٣؛ ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٣٨١.

(٢) مجموع الفتاوى ٨: ٧٠.

المطلب الثالث

مكانة العلم والتعليم في الإسلام

لعلَّ مما لا يُمَاري فيه أحدٌ أنَّ ديننا ـ والحمدُ لله ـ هو دين العلم، فأوَّل آية من كتاب ربنا نزلت هي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، ونقرأ في كتاب الله العزيز كذلك: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]، ونقرأ أيضًا: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة:١١]، أي: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، والرِّفعة تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسيَّةَ في الآخرة بعلوِّ المنزلة في الجنَّة[1]، كما نقرأ أمر الله تعالى لعباده المؤمنين أن يسألوه الاستزادة من العلم والمعرفة، بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

وأما سنَّة النبيِّ ﷺ فلا يُحْصى كثرةً ما ورد من الأحاديث التي تبيِّن شرفَ العلم والعلماء، وعلو منزلتهم عند الله تعالى وعند الناس، أذكر هنا بعض الروايات التي تبين ذلك:

فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ**

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٧: ٢٩٩.

فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

وعن عبادةَ بنِ الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منَّا من لم يُجِلَّ كبيرَنَا ويرحمْ صغيرَنا، ويعرفْ لعالِمِنَا حَقَّهُ**»(٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ**»(٤).

كمَا بيَّن لنا رسولُ الله ﷺ فضلَ طلب العلم النافع وتعلُّمِه على

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم برقم ٣٦٤١؛ والترمذي في العلم برقم ٢٦٤٦ وقال: حديث حسن؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ٢٢٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٣٢٣، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١: ٢١١، قال الحاكم: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة وأبو قتيل تابعي كبير، قال الذهبي في التلخيص: مالك ثقة مصري؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٣٣٨ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد برقم ٢٣٢٢ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في الزهد برقم ٤١١١٢.

(٤) أخرجه الترمذي في العلم برقم ٢٦٤٧، وقال: حديث حسن غريب؛ والطبراني في الكبير ١: ٢٣٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ١٦؛ والخطيب في المشكاة ١: ٤٧.

العبادة، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ**»(١).

وأحاديث أخرى في فضل العلم والتعليم، تحثُّ المسلم على السعي في طلب العلم، ونشره وتعليمه، مما لا يتسع المقام لذكرها واستقصائها.

** ** **

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه برقم ٢١٩؛ وقال الكناني في مصباح الزجاجة ١: ٣٠: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد وعبد الله ابن زياد، وله شاهد في جامع الترمذي من حديث ابن عباس وقال: غريب، وآخر عنده من حديث أبي أمامة وقال: حسن غريب؛ وقد حسَّن المنذري هذا الحديث في الترغيب والترهيب ١: ٥٤ ـ ٢: ٢٣٢.

المطلب الرابع

الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم

سبق أن أشرتُ إلى أنَّ التخطيط والتَّطلع للمستقبل ليس أمرًا من الأمور الغيبيَّة، كما أنَّه ليس من باب التنجيم والتكهُّن، إنَّما هو توظيف لمعطيات الحاضر والماضي، لِتوَقع ما يكون في المستقبل، ومن ثَمَّ وضعُ الخطط واتخاذ القرارات بناء على ذلك.

فالفوضوية والعبثية والارتجال بأيِّ عمل من الأعمال، لا يمكن أن ينتج عنها آثار حميدة مرضية المآل، فالمقدمات مرتبطة بالنتائج ارتباطًا سُنَنِيًّا، فمن أحسن التدبير والتخطيط لأعماله وفق دراسة عميقة للسنن الكونية، لا شك أنَّه سيقطف ثمرات وآثار إحسانه، وفق ما أجراه الله تعالى في هذا الوجود من سنن.

وديننا الحنيفُ لا يقف من التخطيط العلمي للمستقبل موقف المانع والمعارض، بل يحضُّ على ذلك، ويرسم الطريق الأمثل له[(١)].

فاستخدام أساليب الدراسة المستقبلية في تخطيط النظم التعليمية يساعد على تحقيق مفاهيم الكفاية والفاعليَّة للموارد البشرية والمالية، ويُسهم في ترشيد القرارات فيما يتصل بالزمن والتمويل[(٢)].

والاستشراف والتخطيط العلمي والتعليمي هو من أهمِّ أنواع

(١) انظر: الرسول والعلم للقرضاوي ص٤٤.

(٢) المستقبليات والتعليم ص١٥.

التخطيط؛ لأنَّ كلَّ ما عداه متوقف عليه، ويدخل في التخطيط التعليمي التخطيطُ لإيصال العلوم المفروضةِ فرضَ عينٍ على كلِّ مسلم، والتخطيطُ لإيجاد المسلم الكامل، والتخطيطُ لإيجاد المسلم المختصِّ بفرض من فروض الكفاية، والتخطيطُ لإيجاد الاختصاصات التي تغطي احتياجات الأمَّة الإسلامية على مستوى الدِّين والدُّنيا بما يكافئ العصر، وهذا يقتضي وضعَ المناهجِ اللازمة والمناسبة[١].

** ** **

(١) جند الله تخطيطًا لحوى ص٩٣.

المبحث الثاني

أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم في ضوء السنة النبوية

إذا كانت أقوالُ العقلاء والعظماء وأعمالُهم لا تخلو عن التدقيق والتخطيط والاستشراف، فإن رسول الله ﷺ هو أعظم عقلاء هذه الدُّنيا، ولا ينبغي لأقواله وأفعاله وتقريراته أن تخلوَ عن مثل هذا.

ولذلك نجد أنَّ التخطيط العلمي للمستقبل ـ الذي كَثُرَ الحديث عنه في زماننا ـ لم تكن السنة النبوية خلواً عنه، بل كان موضعَ اهتمامِ النَّبي ﷺ، ولكن لا بُدَّ للوقوف على ذلك من قَدح زِنَادِ الفكر، واستنطاق النصوص لاستلهام ما فيها، مع الاعتراف بأنَّ هذا العمل يحتاج إلى مزيد من الجهد والتفكير، وأن الجهود المبذولة في هذا الميدان لا تزال فَجَّةً لم تنضج بعدُ، كما أنَّ نتائج البحث اجتهاديةٌ، وهي عُرضَةٌ للمناقشة والردِّ أو القبول.

والقول بأنَّ ما أخبر عنه النبيُّ ﷺ من أحداث المستقبل هو من قبيل الوحي المعصوم، الذي أَعْلَمَ الله فيه نبيَّهُ محمدًا ﷺ كلَّ أبعادِهِ وتفاصيلِهِ، لا يقدح في تناول الحديث عن الاستشراف والتخطيط المستقبلي في ضوء السنة النبوية؛ وذلك لأنَّ الوحي هو من أعظم وأرقى أساليبِ الاستشراف للمستقبل؛ مع الاعتراف بأنَّ استعمال كلمتي الاستشراف والتخطيط بالنسبة للأخبار الغيبية فيه تجوُّزٌ وتوسُّع، ولكن الذي يبرر استخدام هذه اللفظة هو أن نحمل ما ورد

من الأخبار والأحداث الغيبية على أنَّه تعليم لنا لنستشرف المستقبل ونخطط له، استناداً على فهم دقيق للسنن الكونية، ودراسة للماضي وفهم للحاضر.

فإذا ما أحسن المسلمون قراءةَ ما أخبر به النبي ﷺ من أمور مستقبلية، وفهموا ماضيهم وحاضرهم والسنن الفاعلة فيهما، استطاعوا أن يستشرفوا ويخططوا لمستقبلهم، ويستفيدوا من الأخبار المستقبلية النبوية.

كما أشير هنا بأنَّ إخباراتِ رسول الله ﷺ عن ما سيكون بعده من أحداث المستقبل، كأحاديث الفتن، والإخبار عن أشراط الساعة، لا ينبغي أن تُفهم على أنَّها إخبار عن مستقبليات فحسب، بل إنَّها ترمي إلى تحقيق حكمة آنية؛ وهي التوجيه والتحذير للأمَّة من أسباب الفساد وعواملِ الانحلال[١]، ومن أن تقع فيما سيقع به النَّاس في آخر الزمان، فهو استشراف وتوجيه.

وأما ما جاء فيها من بشاراتٍ فمن وظيفتها شحنُ الأمَّة بالأمل، في فترات ضعفِها وتقهقرها، وذلك لكي لا يستحوذَ عليها اليأسُ فتنهزم نفسيًّا[٢].

وهذا ما أشار إليه رشيد رضا في تفسيره فقال: «إنَّ النبيَّ ﷺ لم يخبر أمته بما سيقع فيها من التفرق والشِّيَع، وركوب سنن أهل الكتاب في الأحداث والبدع، وبغير ذلك من أخبار الفتن الخاصَّة

(١) استشراف المستقبل في الحديث النبوي ص١٧٨.

(٢) انظر: المصدر السابق بتصرف ص١٧٩.

بهم، والمشتركة بينهم وبين الأمم، إلاَّ لأجل أن يكونوا على بصيرة في مقاومة ضرِّها، واتقاء تفاقم شرِّهَا، لا لأجل أن يتعمدوا إثارةَ تلك الفتن والاصطلاء بنارِهَا، والاقتراف لأوزارها...»، ثمَّ قال: «وقد كان أهلُ الصدر الأوَّلِ يفهمون ذلك منَ النُّصوص، كما صرَّحت به عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في حديث لعن أهل الكتاب لاتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، فإنَّها عللتُه بقولها: يحذِّر ما صنعوا...»[1].

وقد تناولت في بحثي هذا خمسةَ عشرَ أثرًا مما فهمت منه استشرافًا أو تخطيطًا مستقبليًّا في العلم والتعليم من خلال سنَّةِ النبيِّ ﷺ، لأوضحَ أثرَ هذا الاستشراف والتخطيط في المجتمع الإسلامي، وسوف أقسم هذه الآثار إلى قسمين، أتكلم في القسم الأوَّل عن الآثار الناتجة عن الاستشراف والتخطيط المستقبلي مما فيه إخبار عن غيب مستقبلي، وأما القسم الثاني فأتكلمُ فيه عن الآثار الناتجة عن التخطيط النبوي، مما هو ثمرة اجتهاد ورأي.

وقد وبذلت في فهم النصوص وتوجيهها واستنطاقها ما استطعت من جهد، فإن أصبتُ فهذا من فضل الله وكرمه، وإن كانت الأخرى فأرجو ألا يحرمني الله تعالى أجر المجتهد المخطأ.

** ** **

(١) تفسير المنار ٧: ٤٩٩.

المطلب الأول

آثار الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم

١ـ تحري الإخلاص في طلب العلم :

لاشك أن الإخلاص هو روح الأعمال وسرُّ قبولها عند الله تعالى، ولذلك كان العلماء على مَرِّ الأزمنة والعصور يتحَرَّون الإخلاصَ في أعمالهم وأقوالهم، ويهتمون بتوجيه طلبة العلم إلى التَّحقق بصفة الإخلاص في طلب العلم، ولذلك نجد عدداً من علماء الحديث يُصَدِّرُون كتبَهم بحديث النبيِّ ﷺ الذي يحضُّ فيه على الإخلاص ويوجه إليه[١]، وهو قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٢].

وقد أكَّد النبي ﷺ على هذا الخلق في كثير من أحاديثه، خصوصًا في طلب العلم وتعليمه؛ مما يُفهَم منه حِرصُ النبيِّ ﷺ وتطلُّعُه لأن يتَّصفَ الدُّعاة والعلماءُ والمتعلمون بهذا الخلق العظيم.

وأخبر النبيُّ ﷺ بأنَّه سيكون أناس من أمته يتعلَّمُون العلم رياءً

---

(١) من هذه الكتب: صحيح البخاري، وموطأ الإمام مالك فقد ذكره في أول الموطأ، ورياض الصالحين للنووي، والأربعين النووية له، وعمدة الأحكام لأبي محمد عبد الغني المقدسي، ومسند الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، وتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد لزين الدين عبد الرحيم العراقي أبو الفضل، وغير ذلك.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي برقم ١، ومسلم في الإمارة برقم ١٩٠٧.

وسُمْعَةً، لا للعمل والدَّعوة إنَّما للمماراة والمباهاة، وتبوئ المناصب وكسب المنزلة عند النَّاس، فيؤدي بهم فسادُ نواياهم وسوءُ أعمالهم لأن يكونوا وقودًا للنَّار يوم القيامة، مما يعتبر مُعَزِّزًا سلبيًّا قويًّا يدفع العالم والمتعلِّم لتَجَنُّب أخلاقهم والبعد عن مسالكهم، فمن ذلك ما رواه ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**مَنِ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ**»(١)، وكذلك ما رواه جَابِرُ بنُ عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**لا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ. . النَّارُ**»(٢).

ويزدادُ الخطر عندما يكون هذا العلم مما يُبتَغَى به وجهُ الله تعالى، فمن تعلَّمَهُ رياءً أو ليُصيبَ به عَرَضًا من أعراض الدُّنيا حَرَمَه اللهُ تعالى الجنَّةَ ونعيمَهَا يوم القيامة، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من تعَلَّم علمًا مما يُبتَغَى به وجهُ الله، لا يتعلمُهُ إلا ليصيبَ بهِ عرَضًا(٣) منَ الدُّنيا لم يجد عَرْفَ الجنَّة يومَ القيامة**»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في العلم، باب: ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا برقم ٢٦٥٤، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل برقم ٢٥٣؛ والدارمي برقم ٣٧٣ قال محققه حسين أسد: رجاله ثقات وهذا إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل برقم ٢٥٤. قال الإمام الكناني في مصباح الزجاجة ١: ٣٧: هذا إسناد رجاله ثقات على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ٣٣٨، وابن حبان في صحيحه ١: ٢٧٩، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح؛ والحاكم في المستدرك ١: ١٦٠ وقال: حديث صحيح سنده ثقات على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد أسنده ووصله عن فليح جماعة غير ابن وهب، وقال الذهبي قي التلخيص: على شرطهما.

(٤) ووردت بلفظ: غرضًا، عوضًا.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لَيَظْهَرَنَّ الإيمانُ حتى يَرُدَّ الكفرَ إلى مواطِنِه، ولتُخَاضَنَّ البِحَارُ بالإسلام، ولَيَأتيَنَّ على النَّاس زمانٌ يتعلمونَ فيه القرآنَ، يتعلَّمُونَهُ ويقرؤونَهُ ويقولون: قد قرأنا وعَلِمْنَا، فمن ذا الذي هو خيرٌ منَّا؟ فهل في أولئك من خير؟**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ ومن أولئك؟ قال: «**أولئك منكُم، وأولئك وقودُ النَّارِ**»[(١)].

كما يخبر النبيُّ ﷺ عن صورة من صور العذاب المقززة المنفرة المخيفة لفئة من علماء السوء، الذين يُعَلِّمون النَّاس ويأمرونهم وينهونهم دون أن يلتزموا بما يقولون، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال، سمعت رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُم بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»[(٢)].

ومثلُ ذلك ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ...، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ:**

---

(١) مجمع الزوائد ١: ٤٤٢، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعية لم أر من وثقها ولا جرحها. هند هذه وثقها ابن حبان في الثقات ٥: ٥١٧؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب ١: ٧٧: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة برقم ٣٠٩٤؛ ومسلم في الزهد والرقائق برقم ٢٩٨٩.

تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...»[(١)].

وكذلك كان النبيُّ ﷺ يتخوَّف على أمته من عالمٍ بلسانه، يلبس لَبُوس العلماء ويتزيَّا بزيِّهم، بينما هو منافق في قلبه، فعَنْ عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان**»[(٢)].

ومما سبق نخلص: إلى أنَّه يجب على المهتمين برسالة التربية والتعليم أن يضعوا الخططَ اللازمة والمناهج الهادفة التي تغرِس خُلقَ الإخلاص في المعلمين والدَّارسين، وتحذِّرُهم من النفاق وعواقبه.

٢ـ تعليم العلم والحذر من كتمانه، والاهتمام بطلبته:

بيَّن اللهُ تعالى في كتابه العزيز الحكمةَ من بعثة النبيِّ ﷺ، كما بيَّن المهمةَ التي كُلِّف بأدائها، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال عزَّ من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، برقم ١٩٠٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٤٨٦؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٤٤٥، وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح.

وأعلن ذلك رسولُ الله ﷺ بقوله: «**إنَّ الله لم يبعثْنِي مُعَنتًا ولا مُتَعَنتًا، ولكنْ بعثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**»(١).

فالتزكيةُ والتعليم هما الغاية من بعثة رسول الله ﷺ، المعلِّمُ الأوَّل لهذه الأمَّة، وذلك ليخرجَهَا من ظُلمة الجهل والضلالة، إلى نور العلم والمعرفة والهداية.

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة (رحمه الله) في سياق حديثه عن النبيِّ المعلِّم ﷺ: «ومن تأمَّل حسنَ رعايتِهِ للعَرَب مع قسوة طباعهم، وشدَّةِ خشونتهم، وتنافُرِ أمزجتهم، وكيفَ ساسهم واحتمل جفاءهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، والتفوا حوله، وقاتلوا أمامَه ودونَه أعزَّ الناسِ عندَهم: آباءَهُم وأقاربَهم، وآثرُوا على أنفسهم، وهجروا في طاعته ورضاه أحباءَهم، وأوطانَهم، وعشيرتَهم وإخوانَهم، وكان كلُّ ذلك ـ وأعظمَ منه ـ منهم له ﷺ، وهو لم يمارسِ الكتابةَ والقراءة، ولا طالعَ كتبَ الماضين، و لا أخبارَ المُرَبِّين السالفين...، من تأمَّل هذا تحقق له بنظر العقل أنَّه ﷺ هو المُعَلِّم الأوَّل، والنبيُّ المُرسَلُ، وأنَّه سيِّدُ العالمين صلوات الله وسلامه عليه»(٢).

لقد أدَّى رسولُ الله ﷺ رسالته في التعليم على أكملِ وجهٍ وأتمِّه، ولكي يضمن انتقالَ رسالته ومبادئه لأمته من بعده وضع الأسس والضوابط التي تكفل ذلك، فحَرَّم كتمان العلم وأخبر عن عقوبة

(١) أخرجه مسلم في الطلاق رقم ١٤٧٨.
(٢) الرسول المعلم ص١٠ ـ ١١.

ذلك، فقال ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نَّارٍ**»(١).

وأخبر بأجر من يقوم برسالة التعليم والتَّعلُّم وما له من حوافز أخرويةٍ عظيمة، وذلك ليقوم الناس بأعباء هذه الرسالة ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من رجلٍ مسلم تعلَّمَ كلمة، أو كلمتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا مما فرض الله عز وجل، فيتعلَمُهُنَّ ويعلِمُهُنَّ إلا دخل الجنَّة**»(٢).

بل أمر بتكافُلٍ وتعاونٍ علمي ثقافي إلزامي بين جميع أفراد المجتمع المسلم، يستلزم التقصيرُ به من كلا الطرفين عقوبةً تعزيريةً، مما لم يعرف له التاريخُ مثيلاً، فعن عبد الرحمن بنِ أبزى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائفَ من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**ما بالُ أقوامٍ لا يُفقِهون جيرانَهُم ولا يعلِمونهم ولا**

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم برقم ٣٦٥٨؛ والترمذي في العلم واللفظ له، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ برقم ٢٦٤٩؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ٢٦٤.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٢: ١٥٩ بإسناد حسن، لو صحَّ سماع الحسن البصري من أبي هريرة، انظر الترغيب والترهيب١: ٥٤ ؛ وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء نقلاً عن ابن معين أنه لم يصح للحسن سماع عن أبي هريرة ٤: ٥٦٦؛ وقد رُوي الحديث بسند صحيح في مسند أحمد ابن حنبل ٢: ٣٣٣، ولفظه: «**ألا من رجل يأخذ بما فرض الله ورسوله كلمة أو كلمتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فيجعلهن في طرف ردائه فيتعلمهن ويعلمهن**، قال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله، قال: **فابسط ثوبك**، قال: فبسطت ثوبي، فحدَّث رسول الله ﷺ ثم قال: **ضمَّ إليك**، فضممت ثوبي إلى صدري، فإني لأرجو أن لا أكون نسيت حديثًا سمعته منه بعد».

يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم ولا يتفقَهُون ولا يتعظُون، والله لَيُعلِّمَنَّ قومٌ جيرانَهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليَتَعلَّمَنَّ قومٌ من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنَّهُم العقوبة»، ثم نزل فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: الأشعريين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جُفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرتَ قومًا بخير، وذكرتنا بشرٍّ فما بالنا؟ فقال: «**ليُعلِّمَنَّ قومٌ جيرانهم وليُفقهَنَّهُم وليُفطننَّهُم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعَلَّمَنَّ قومٌ من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبةَ في الدنيا**»، فقالوا: يا رسول الله نفطِّنُ غيرَنا؟ فأعاد قولَه عليهم، وأعادوا قولهم: أنفطِّنُ غيرَنا؟ فقال ذلك أيضًا، فقالوا: أمهِلْنَا سَنَةً، فأمهلهم سنةً ليفقهونهم ويعلمونهم ويفطنونهم، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ الآية[1].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٤٠٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه بكير بن معروف قال البخاري: ارم به. ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه الرسول المعلم ص١٧: فعلى هذا يكون سند الحديث ضعيفًا إن لم نعتد بالرواية عن أحمد في توثيقه، وإن اعتددنا بها فهو حديث حسن أو يقارب الحسن، وهذا الذي جزم به الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب فإنه أورده فيه بلفظ: عن علقمة... ثم قال بعد ذكر قاعدة المنذري في روايته في الترغيب والترهيب: فالحديث حسن أو ما يقاربه عند الحافظ المنذري.

يقول الشيخُ العلاَّمَة مصطفى الزرقا (رحمه الله) تعليقًا على الحديث السابق: «إنَّ هذا الموقفَ العظيم في اعتبار التقصير في التعلِيم والتَّعلُّم جريمةً اجتماعية يَستَحِقُ مرتكبُهَا العقوبةَ الدُّنيوية موقفٌ لم يَروِ التاريخُ له مثيلاً في تقْدِيس العلم قبل النبيِّ عليه السلام ولا بعدَه»[(١)].

ويقول كذلك: «ويدخل في ارتكاب المنكر إهمالُ الواجباتِ الدينية، ومن جملتها: التَّعلِيمُ والتَّعلُّمُ، فإذا قصَّرَ العالِمُ في واجب التَّعلِمِ، أو قصَّرَ الجاهلُ في تعلُّم القَدْرِ الواجبِ شرعًا منَ العلمِ استَحَقَا عقوبةَ التعزيرِ على التَّقصيرِ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**طَلَبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسْلِم**»[(٢)]، ولفظ المسلم هنا يشملُ الرَّجُلَ والمرأةَ، لأنَّ الحكم منوط بصفة مشتركة هي الإسلام»[(٣)].

ولذلك نجد أنَّ علماء هذه الأمَّة على مرِّ التاريخ ـ حتى زماننا هذا ـ ما زالوا يعلِّمُون النَّاس حُسْبَةً لله تعالى، ويخشَون أن يلحَقَ بهم الإثمُ إن قصَّروا بالقيام برسالة التعليم، بل إنَّهم يُولُون طلبةَ العلم مزيدًا من العناية والاهتمام تأسِّيًا بالرسول المعلِّم ﷺ الذي كان يُرَحِّبُ بطلبة العلم، فعَنْ صَفْوَانَ بنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت: يَا

(١) المدخل الفقهي العام ٢: ٦٣٣ فقرة ٣٣٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة برقم ٢٢٤؛ والطبراني في معاجمه الثلاث الكبير ١٠: ١٩٥، والأوسط ١: ٧، والصغير ١: ٣٦؛ والبيهقي في الشعب ٢: ٢٥٣، فالحديث روي من طرق متعددة تبلغ رتبة الحسن كما قال الإمام المِزِّي، وقد حكم السيوطي بصحته وجمع في طرقه جزءاً كما في فيض القدير للمناوي ٤: ٣٥٢.

(٣) المدخل الفقهي العام ٢: ٦٣٢ فقرة ٣٣٥.

رَسُولَ الله جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، قَالَ: «**مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّ بِهِ الْمَلائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، فَيَرْكَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ**»[(١)]، وتنفيذًا لوصيَّة رسول الله ﷺ، التي يرويها أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**سيأتيكُم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مَرْحَبًا، مَرْحَبًا بوصيَّة رسول الله، وأَقْنُوهم**»، قلتُ للحكم (أحدِ الرُّواة): ما أقنوهم؟ قال: علِّمُوهم[(٢)].

وكان أبو سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا جاءه طلابُ العلم يقول لهم: «مرحبًا بوصيَّة رسولِ الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم»[(٣)].

وكذلك كان السلف الصالح، فمن وصيَّة أبي حنيفة رحمه الله لتلميذه أبي يوسف: «وأقبل على متفقِهِيكَ، كأنَّكَ اتخذت كلَّ واحد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير واللفظ له ٨: ٥٤ برقم ٧٣٤٧؛ وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١: ٣٣ قال: «حديث صفوان بن عسال هذا وقفه قوم عن عاصم ورفعه عنه آخرون، وهو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع، ومثله لا يقال بالرأي»؛ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١: ٥٢ وقال: رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٣٤٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ١: ٩٠ برقم ٢٤٧ ـ ٢٤٨، وفي نسخة: وأفتوهم، وقد حسنه السيوطي في الجامع الصغير، قال المناوي في فيض القدير ٤: ١٥٤: رمز المصنف لحسنه ورواه عنه الطيالسي والديلمي وغيرهما.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ١: ١٦٤، وقال: هذا حديث صحيح ثابت، وقال الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم ولا علة له.

منهم ابنًا وولدًا؛ لتزيدَهم رغبةً في العلم»[١].

ولم يكن غائبًا عن بالهم ما لتعليم العلم ونشره من أجر عظيم، فهو صدقة جارية لا ينقطع خيرُها وأجرها حتى بعد موت الإنسان وانقطاعه عن الدنيا، بل هو مشروع مستقبلي أخروي رابح لا محالة، إن صَلَحَتْ فيه النيَّةُ وحَسُنَتْ الطَّوِيَّةُ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِن ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[٢]، وكذلك قوله ﷺ: «**إنَّ ممَّا يَلْحَقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علَّمَهُ ونشَرَهُ، وولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثَهُ، أو مسجدًا بناهُ، أو بيتًا لابن السبيل بناهُ، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقُهُ من بعد موتِه**»[٣].

ومما سبق نخلص: إلى أنَّه يجب على المعنيين بأمور الدعوة والتَّعليم أن يطلقوا حملاتٍ تعليمية، ويضعوا لذلك الخطط اللازمة للاستفادة من العلماء والمفكرين، لينهلَ منهم كلُّ من يرغب من طلبة العلم ممن لا يتيسَّرُ لهم الانتظام بالدراسة الأكاديمية، تأسِّيًا بمنهاج النبوة واتباعًا له.

---

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٤٣٠.

(٢) مسلم في الوصية برقم ١٦٣١؛ وأبو داود في الوصايا برقم ٢٨٨٠؛ والترمذي في الأحكام برقم ١٣٧٦؛ والنسائي في الوصايا برقم ٣٦٥١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: ثواب معلم الناس الخير برقم ٢٤٢؛ وابن خزيمة في صحيحه ٤: ١٢١؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب ١: ٥٥ بعد أن أورد الحديث: بإسناد حسن.

٣ ـ تَخَيُّرُ المُعَلِّمِين العدول :

التعليم بالقدوة من أبرز أنواع التعليم وأساليبه، بل إنَّ أوَّل ما يتعلمه الإنسان إنما يكون بالقدوة، فيتأثر الولد بأبويه ومن يحيط به في سنواته عمره الأولى، ولا يتوقف ذلك على هذه المرحلة العمرية، بل قد يمتدُّ هذا النوع من التعليم زمنًا طويلاً يتفاوت من شخص لآخر، ولذلك جاء الإرشاد والتوجيه النبويُّ بصورة الإخبار عمَّا سيكون، بأن لا يُؤخذ هذا العلم إلا عن أهله، ممن يتميَّزون باستقامة السلوك والتفكير، دون انحراف أو شذوذ، مما يُعتبر إخبار واستشراف لما سيكون في المستقبل، وذلك للحذر من تأويلات أهل الجهالة، ودعوى أهل الباطل، وانحرافات أهل الغلو والتطرف، فعَن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَذَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»(١).

قال أبو جعفر الطحاوي: «الأخلاف: هم الذين ذكرنا ممن يؤخذ العلم عنهم، ويُرجَع فيه إلى أقوالهم، لا من سواهم ممن لا يُؤخذ العلم عنه، ولا يُرجع إلى قوله فيه، لشذوذه الذي قد شذَّه، ولانفراده الذي قد انفرد به»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠: ٢٠٩ برقم ٢١٤٣٩؛ وابن عساكر ٧: ٣٨؛ وذكره الخطيب التبريزي في المشكاة ١: ٥٣ برقم ٢٤٨ وقد أشار الألباني إلى صحته؛ قال الخطيب: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث وقيل له: كأنه كلام موضوع، قال: لا، هو صحيح سمعته من غير واحد.

(٢) شرح مشكل الآثار ١٠: ٢٠.

وقد تنبه السلف الصالح إلى ضرورة التزام هذا الإرشاد النبوي، فلا يتعلموا إلا من أهل التقى والصلاح والاستقامة السلوكية والفكرية، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ التابعي الجليل رحمه الله قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»(١).

وقال مالك بن أنس رحمه الله: «إنَّ هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركتُ سبعين ممن يقولون: قال رسول الله عند هذه الأساطين...، فما أخذتُ عنهم شيئًا، وإنَّ أحدهم لو اؤتمن على بيت المال لكان أمينًا، إلا أنَّهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن»(٢)، وقال ابن أبي أويس: سمعت مالك بن أنس يقول: «إن هذا العلم هو لحمك ودمك، وعنه تسأل يوم القيامة، فانظر عمن تأخذه»(٣).

قال مطرف بن عبد الله: إني أشهد مالكًا يقول: «أدركت ببلدنا هذا ـ يعني المدينة ـ مشيخة، لهم فضل وصلاح وعبادة، يحدثون، فما كتبت عن أحد منهم حديثًا قط، قلت: لِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لأنهم لم يكونوا يعرفون ما يحدثون...»(٤).

وما ضلَّ من ضل، ولا انحرف من انحرف، فكرًا وسلوكًا إلا بسبب تلقيه عن أهل الزيغ والانحراف، أمَّا من التزم الأخذ عن

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ١: ١٢؛ والدارمي في المقدمة برقم ٤١٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٩: ١٠٤ برقم ٢٧١٦٨.
(٢) الكفاية في علم الرواية ص١٩٣.
(٣) أخرجه مالك في موطئه ١: ٢٥.
(٤) المصدر السابق.

الثِّقات العدول فإنَّه يَتَرَسَّم خطاهم في فكره وسلوكه، ويكون بعد ذلك قدوةً حسنة لمن يأخذ عنه، وينهل من علمه، ويقتدي بسلوكه.

٤ـ التنافس وبذل غاية الجهد في طلب العلم النافع :

تضافرت الأدلة الشرعية من قرآن وسنَّةٍ على بيان منزلة وفضل العلم والعلماء، وجعل النبيُّ ﷺ طلبَ العلمِ فريضةً إسلاميةً، وأبان عن علوِ منزلة العلم وأهله في الدنيا والآخرة، بل جاءتِ النُّصوصُ النبوية لتفضِّل العلمَ والتَّعلُّم على كثرة العبادة، مما يمكن أن نعتبره تطلُّعًا وتخطيطًا منه ﷺ ليُخرج هذه الأمةَ الأميَّة التي بعثه الله إليها من الجهل والعماء، إلى العلم والمعرفة والضياء، فيغدو المجتمع الإسلامي بعد ذلك مجتمعًا مثقفًا، ليس فيه إلا عالمًا أو متعلمًا.

وقد كان للنُّصوصِ الشَّرعية من كتاب وسنة أثرٌ بالغ في تحريك فئات المجتمع المسلم الناشئ لتتوجَّه بجميع أطيافها لطلب العلم النافع، بل والتنافس فيه، فلم يكن العلم حِكرًا على فئة دون فئة، بل كان العلم للجميع، فلذلك رأينا عبر التاريخ الإسلامي أن كثيرًا من علماء وقرَّاء الأمة لم يكونوا عربًا بل كانوا من الموالي، وبرز عدد كبير من علماء العجم بَزُّوا أقرانهم من العرب، وحملوا رسالة الإسلام بإخلاص وصدق وتفان، ليبلغوها إلى من ورائهم، ومن يطالع سير هؤلاء الأعلام ومبلغ صبرهم على طلب العلم يرى العجب العُجَاب[1].

(١) ينظر كتاب: صفحات من صبر العلماء للشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة.

مما يؤكِّد لنا أنَّ رسالة الإسلام رسالةٌ عالمية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وكان رسول الله ﷺ يؤكِّد عالميةَ رسالته بأقواله وأفعال، فمن ذلك قوله: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي...، وكان النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِه خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(١)، ويقول ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى...**»(٢).

لذلك كان النبي ﷺ يتطلَّع لأن يظهر من بين الأعاجم بعد أن تجاوزت دعوته الجزيرة العربية من يحمل رايةَ الإسلام والعلم، ويدعو قومه على بصيرة، فأخبر بأن رجالاً من فارس سيملكون ناصية الدِّين والعلم، فقال ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَوْ كَانَ الدِّينُ عندَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ بِهِ رجلٌ مِنْ فَارِسَ**»(٣)، أو قال: «**مِنْ أبناءِ فَارِس**»، وفي رواية: «**لَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ أُنَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ**»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في التيمم برقم ٣٢٨؛ ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ٥٢١.

(٢) أحمد في مسنده ٥: ٤١١، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة في فضل فارس برقم ٢٥٤٦.

(٤) أحمد في مسنده ٢: ٢٩٦، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف شهر ابن حوشب؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه بسند آخر ١٦: ٢٩٩، وأبو نعيم ١: ٤ من طريق محمد بن إسحاق، وله شاهد من حديث عائشة عنده ١: ٧ ـ ٨.

فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلاءِ**»(١).

وقد تحقق تطلُّع النبيِّ ﷺ وما أخبر به، فظهر عددٌ كبير من علماء فارس من أصبهان وخراسان وغيرها، وكانوا من الراسخين في العلم والإيمان والدِّين.

ولم يكن ذلك مقتصراً على فئة واحدة من العَجَم، بل شملت كلَّ أصناف العَجَم من رُوم وتُرْكٍ وحَبَشَةٍ وهنود... وغيرهم، بل إنَّ من برز في زماننا من فقهاء وعلماء ودعاة وقادة من الأعاجم ليؤكِّدُ بجلاء عالمية الإسلام، بل ويثبت ما كان يستشرف له رسول الله ﷺ مما كان يتطلع إليه ﷺ من وراء سُجُفِ الغيب.

وَلذلك نجد أن بعض التابعين الكبار تمنى أن يكون من أهل فارس أو أصبهان؛ لِمَا رَأوا من تسابقهم على العلم والإيمان، فهذا سعيد بن المسيب أحد التابعين رحمه الله، يقول: لو أنّي لم أكن من قريش لأحببتُ أنْ أكونَ مِنْ فارسَ، ثُمَّ أحببتُ أنْ أكونَ مِنْ أصبهان(٢)، لقولِ النبي ﷺ: «**لَوْ كَانَ الدِّينُ مُعَلَّقًا بالثُرَيَّا لتناوَلَهُ ناسٌ**

(١) أخرجه البخاري في تفسير القرآن في صحيح القرآن برقم ٤٦١٥؛ ومسلم في فضائل الصحابة في فضل فارس برقم ٢٥٤٦.

(٢) مسبوك الذهب ص٥٦.

من أبناءِ الَعَجَمِ، أسعد الناس بها فارس وأصبهان»[١].

قالوا: وكان سلمان الفارسيُّ من أهل أصبهان، وكذلك عكرمةُ مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وآثار الإِسلام كانت بأصبهان أظهر منها بغيرها، حتى قالَ الحافظُ عبد القادر الرُّهاويُ (ت ٦١٢ هـ): «ما رأيتُ بَلَدًا بعدَ بَغْدَادَ أكثر حديثًا من أصبهان، وكان أئمةُ السُنَّةِ علمًا وفقهًا وحديثًا فيها أكثرَ من غيرها»[٢].

ولم يزل بعض الأعاجم ممن يسابق العربَ في اكتساب العلومِ والفضائل في علوم الدين والعربية وكثرة المؤلفات إلى زماننا هذا، ومن هؤلاء: علاَّمَة الهند أشرف علي التَّهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ، وقد زادت مؤلفاتُه على ألفِ مؤلف[٣]، وغيرُه كثير.

وكلُّ ما سبق ذكره يمكن أن نعتبره أثرًا من آثار التعزيز الإيجابي الذي استهدف فيه النبيُّ ﷺ فئة من فئات المجتمع الإسلامي، أو لنقل تجوّزًا: أثرًا من آثار الاستشراف والتخطيط المستقبلي النبوي في ميدان العلم والتعليم، يستدعي من القائمين على التربية والتعليم إثارة روح التنافس بين كلِّ أفراد المجتمع الإسلامي للاستزادة من العلم والمعرفة، متجاوزين كلَّ الحواجز والحدودِ المصطنعة.

٥ـ التَّرَفُّقُ بالمُتَعَلِّم، وعدمُ إرهاقه والتَّشديدِ عليه :

إنَّ من أهم عوامل الفهم والرَّغبة في التَّعلُّم حبُّ الجانبِ المعرفي

---

(١) مسبوك الذهب ص٥٧.

(٢) المصدر السابق ص٥٧.

(٣) قيمة الوقت عند العلماء لأبو غدة ص٤٢.

الذي يتلقاه المُتَعَلِّمُ، إضافةً إلى ما يمتلكُه المعلِّمُ من كفاءَةٍ وقُدْرَةٍ على غَرْسِ الرَّغبة والحُبِّ في نفس المُتَعلِّم، إلاَّ أنَّ الإكثارَ والشِّدَّةَ في التعليم مدعاةٌ للسآمَة والملل، الذي تتعثرُ معه الرَّغبةُ في التَّعلمِ، بل قد يؤدي إلى توقُّفِ العملية التعليمية مطلقًا، بسبب النُّفْرَة المتولِّدَة من السآمة والملل.

ولذلك نجد أن من هدي النبي ﷺ تخير أوقات نشاط الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مع عدم الإكثار عليهم خشية الإملال، مما يعتبر منه ﷺ تخطيطًا ورسمًا لمعالم المنهج الأمثل في التعليم، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبيُّ ﷺ يتَخَوَّلُنَا بالموعظة في الأيام كراهةَ السَّآمَة علينا»[(١)]، (والتخول بالموعظة: القيام بها في وقت النشاط والرغبة، مع عدم فعلها دائمًا).

وقد سلك أصحاب رسول الله ﷺ هذا المنهج، مقتدين بالنبي ﷺ، فهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكِّر أصحابَه في كلَّ يومِ خميس، فيقول له رجل: يا أبا عبد الرحمن إنا نحبُّ حديثَكَ ونشتهيه، ولَوددْنا أنَّك حدثتنا كلَّ يومٍ، فقال: ما يمنعني أن أحدِّثَكم إلا كراهيةَ أن أُمِلَّكُم، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يتخوَّلُنَا بالموعظة في الأيام، كراهيةَ السَّآمَة علينا[(٢)].

ولم يقتصر ترفُّق النبيِّ ﷺ بأصحابه في التعليم فحسب، بل امتدَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٨ برقم ٦٨؛ ومسلم في الاقتصاد في الموعظة ٤: ٢١٧٢ برقم ٢٨٢١.

(٢) أخرجه مسلم في الاقتصاد في الموعظة ٤: ٢١٧٢ برقم ٢٨٢١.

ليشمل نهجَهُم بالعبادة، وليَدْعُوَهم إلى التَّرفُّق بأنفسهم وعدم التشديد عليها، لما يعلمه ﷺ من الضعف الذي بُنِيَ عليه الإنسان، بل إنه يؤكِّد على أنَّ قليل العبادة مع الاستمرار خيرٌ من كثيرِها مع الانقطاع، فيقول ﷺ عندما سئل عن أحبِّ الأعمال إلى الله؟: «**أدومُهَا وإن قلَّ**»، ويقول: «**اكلفُوا من الأعمال ما تطيقون**»(١). (واكلفوا: أي ألزِمُوا أنفسكم وكلِّفوها ما تستطيعون فعلَه دائمًا ولا تنقطعون عنه).

وعندما يأتيه عبدُ الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيقول له ﷺ: جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، فَيقول له رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ**»، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ من قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرَةٍ**»، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ من قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ**»، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى(٢)، وفي رواية الصحاح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ فَيَسْأَلُهَا عَن بَعْلِهَا فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ، لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الْقَنِي بِهِ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ فَقَالَ: «**كَيْفَ تَصُومُ؟**»، قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ**»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «**صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ**»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا**»،

---

(١) أخرجه البخاري ٥: ٢٣٧٣ برقم ٦١٠٠؛ ومسلم ١: ٥٤١ برقم ٧٨٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢: ١٩٩؛ وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها برقم ١٣٤٦.

قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ؛ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً**»، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ...[(١)].

وهكذا كان ﷺ يرسم ويخطط لأمته أن تكون على المنهج الوسط الذي أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، سواء كان ذلك في التعليم أو التَّعلُّم، في العبادة أو في التعامل، مما يعتبر استشراف وتخطيطًا لما يجب أن تكون عليه أمته ﷺ.

٦ـ الابتعاد عن تعلُّم ما يضرُّ المسلمين، وعن ما لا فائدة منه :

جاء رسول الله ﷺ أمته بكتاب يهدي للتي هي أقوم، فيه تبيان كلِّ شيء، وشَفَعَهُ بأقواله المعصومة، وهداياته وإرشاداته الرائعة، فكان ديننا بحمد الله كالشمس وضحاها، والنَّهارِ إذا جلاَّها.

وقد تطلَّع النبيُّ ﷺ إلى مستقبل هذه الأمَّة، وعَلِم بأن بعضًا من أمته سيسلكون مسلكًا وَعِرًا خطيرًا، فنهى ﷺ عن كثرة الكلام والمسائل التي لا تفيد المسلم في دينه ولا في دنياه، فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا : قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم ٤٧٦٥؛ ومسلم في الصيام برقم ١١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة برقم ١٤٠٧؛ ومسلم في الأقضية برقم ٥٩٣، عن المغيرة بن شعبة. قال ابن حجر في الفتح ٣: ٢٧٠: «قال ابن التين: فهم منه البخاري سؤال الناس، ويحتمل أن يكون المراد السؤال عن المشكلات أو عما لا حاجة للسائل به، ولذلك قال ﷺ: «**ذروني ما تركتكم**». قلت: (القائل ابن حجر): وحمله على المعنى الأعم أولى، وقال ابن رُشَيد: حديث المغيرة في النهي عن كثرة السؤال يحتمل أن يكون المراد=

كما نهى عن إضاعة الوقت ببث المسائل التي تدخل الشُّبَهَ والإشكالات إلى العقول، أو تُعَقِّدُ ما جاء سَهْلاً مفهومًا، ليصبحَ نوعًا من الألغاز والأحاجي التي تُرهِقُ العقول، فعن مُعَاوِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**نَهَى عَنِ الْغُلُوطَاتِ**»(١).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «أَرَادَ الْمَسَائِلَ الَّتِي يُغَالَط بِهَا الْعُلَمَاء لِيَزِلُّوا فِيهَا، فَيَهِيج بِذَلِكَ شَرّ وَفِتْنَة، وَإِنَّمَا نُهِيَ عَنْهَا لأَنَّهَا غَيْر نَافِعَة فِي الدِّين، وَلا تَكَاد تَكُون إِلاَّ فِيمَا لا يَقَع»(٢).

قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: «قال الأوزاعي أحد رواته: هي صعاب المسائل، قلت: هو محمول على ما إذا أُخرج على سبيل تعنيت المسؤول أو تعجيزه أو تخجيله»(٣).

قال الآجري: «وأما ما ذكرنا في الأغلوطات، وتعقيد المسائل مما ينبغي للعالم أن ينزِّه نفسَه عن البحث عنهما ممّا لم يكن، ولعلها لا تكون أبدًا، فيشغلون نفوسهم بالنظر، والجدل، والمراء فيهما، حتى يشتغلوا بها عمَّا هو أولى بهم، ويغالطَ بعضُهُم بعضًا، ويطلبَ بعضُهم زللَ بعض، ويسأل بعضُهم بعضًا، هذا كلُّه مكروهٌ منهيٌّ عنه،

= بالسؤال: النهي عن المسائل المشكلة كالأغلوطات، أو السؤال عما لا يعني، أو عما لم يقع مما يكره وقوعه».

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٤٣٥؛ و أبو داود في العلم برقم ٣٦٥٦؛ و الطبراني في الكبير ١٩: ٣٨٠؛ وفي الأوسط ٨: ١٣٧، قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: فِي إِسْنَاده عَبْد الله بْن سَعْد، قَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: مَجْهُولٌ. (عون المعبود ١٠: ٦٥)؛ قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢: ٨٩٩: إسناده حسن.

(٢) عون المعبود ١٠: ٦٤.

(٣) عمدة القاري ٣: ٩٩.

لا يعود على من أراد هذا منفعةٌ في دينه، وليس هذا طريق من تقدَّم من السَّلف الصالح، ما كان يطلب بعضُهم غلطَ بعض، ولا مرادُهم أن يخطِّئ بعضُهم بعضًا، بل كانوا علماءَ عقلاء، يتكلَّمُون في العلم مناصَحَة، وقد نفعَهُم اللهُ بالعلم»[١].

وَمِثْله قَوْل ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْذَرْتُكُمْ صِعَابَ الْمَنْطِق»، يُرِيد الْمَسَائِل الدَّقِيقَة الْغَامِضَة[٢].

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهم ذكروا المسائل عنده، فقال: أما تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن عُضَلِ المسائل[٣].

وقد قال الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ شِرَار عبادِ الله قومٌ يحبُّون شرارَ المسائل، يُعَمُّون بها عبادَ الله»[٤].

وقال الأوزاعي: «إذا أراد الله أن يحرم عبدَه بركةَ العلم ألقى على لسانه الأغاليط»[٥].

وكان من دعاء النبيِّ ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عِلمٍ لا ينفع، ومن قَلبٍ لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُسْتَجَاب لها**»[٦].

---

(١) أخلاق العلماء للآجري ص١١٤.

(٢) المصدر السابق ص١١٤.

(٣) جامع بيان العلم ٢: ١٤٠. والمراد صعابها ومشكلاتها.

(٤) أخلاق العلماء للآجري ص١١٨؛ وانظر جامع بيان العلم ٢: ١٤٥.

(٥) انظر: جامع بيان العلم ٢: ١٤٥.

(٦) مسلم في الذكر والدعاء والتوبة برقم ٢٧٢٢، عن زيد بن أرقم؛ والترمذي في الدعوات برقم ٣٤٨٢.

يقول الشيخ أبو غُدَّة: «فهذا الدُّعاء منه (ﷺ) تعليمٌ للعالم والمتعلِّم جميعًا أن لا يتعلَّمُوا أو يُعَلِّمُوا إلاَّ ما فيه نفعٌ بميزان الشَّرع الحنيف الأغرِّ»(١).

إذن فالنبيُّ ﷺ يوجِّهُ أمتَهُ أن لا تسأل إلا عمَّا يهمُهَا ويكونَ من ورائه فائدةٌ عملية أو علمية، أما غير ذلك من «المعضلات والأغلوطات، أو المسائل الفضول التي لا حاجة بالسائل إليها، فإنَّمَا تكون من بَطَرِ الذهن، وفراغ النفس ونحو ذلك، مما لا يترتب على السؤال عنه فائدةٌ علمية، ولم يَرِدْ به تكليفٌ من الشارع أو خطاب، فالسؤال عن مثل هذا منهيٌّ عنه ولا ريب، ومثله السؤال إذا كان على سبيل التَّعنت والمغالطة وتَصْفِيرِ الوجوه»(٢).

وكم أهدرت أمتُنَا من الجهود والإمكانات في تعلُّمِ أمور لم تَعُدْ عليها إلا بالشرِّ والفساد، كترجمة كثير من كتب الفلسفة اليونانية، أو كتب الإغريق...، وإنشاء كتب كثيرة في الرَّدِّ والرَّدِّ المضاد، فيما يبعثر الجهودَ ويشوِّشُ الأفكارَ، مما يستدعي من المسلمين اليومَ أن تكون مناهجُهُم ملتزمةً بهذه الهداية النبوية، فيضعوا الخطط التعليمية في أن لا يعلِّمُوا ولا يتعلَّمُوا إلا ما ينفعُهُم في دينهم ودنياهم.

٧ـ بذل الجهود العظيمة لنقل حديث النبي ﷺ مع الدِّقةِ المتناهية، والحذر من الكذب على رسول الله ﷺ:

إنَّ السنَّة النبوية الشريفة من أقوال وأفعال وتقريرات هي المصدر

(١) الرسول المعلم ص٢١.

(٢) منهج السلف في السؤال عن العلم لأبو غدة ص٢٥.

التشريعي الثاني بعد كتاب الله تعالى، وهي الحكمة التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمدﷺ، فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

فلذلك أراد النبيُّ ﷺ لسنته أن تُحْفظ ويتناقلَها المسلمون من بعده، وتصبحَ المصدرَ التشريعي الثاني بعد كتاب الله تعالى، فحضَّ أصحابَه الكرام رضوان الله عليهم وحفَّزَهم على حفظ أحاديثه وتبليغها لمن بعدَهم، فقالﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»(٢)، وفي رواية: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**»(٣).

ولم يكن ذلك الحَضُّ والتَّحفيزُ مقتصراً على جيل الصحابة فقط، إنَّمَا شملَ كلَّ من يعتني ويهتمّ بحفظ ونقل حديث رسول الله ﷺ ممن جاء بعدَهم، فقد رَوى ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره عن رسول الله ﷺ أنَّه

(١) أخرجه أبو داود في السنة؛ باب: لزوم السنة برقم ٤٦٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي في العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع برقم ٢٦٥٧ وقال: حديث حسن صحيح؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ٢٢٨، والدارمي في المقدمة برقم ٢٣٠؛ والحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود في العلم، باب: فضل نشر العلم برقم ٣٦٦٠؛ والترمذي في العلم برقم ٢٦٥٦؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ٢٣٠؛ والدارمي في المقدمة برقم ٢٢٧؛ والحديث عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال: «**من حفظَ على أمتي أربعين حديثًا منَ السنَّةِ حتى يؤديَها إليهم كنت له شفيعًا، أو شهيدًا يوم القيامة**»(١).

إلى جانب ذلك حذر النبيُّ ﷺ من الكذب والتَّقَول عليه، ورتَّبَ على ذلك عقوبةً شديدة فقال: «**لا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَن كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجْ النَّارَ**»(٢)، وبيَّن بأنَّ إثم وعقوبة الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره، فقال ﷺ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**»(٣).

كما بيَّن لأمته دلائلَ وعلامات الحديث الصحيح بقوله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُم الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ فَأَنَا أَوْلاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُم الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ وَتَنْفِرُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ فَأَنَا**

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١: ٤٣؛ قال أبو عمر بن عبد البر: هذا أحسن إسناد جاء به هذا الحديث، ولكنه غير محفوظ ولا معروف من حديث مالك؛ وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١: ٢٠٩): «قلْتُ: رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، بِطُرُقٍ كَثِيرَاتٍ بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ، وَاتَّفَقَ الْحُفَّاظُ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ»، أقول: مع حكمهم بضعف الحديث إلا أن كثيرًا من العلماء عملوا بمدلوله، فألفوا كتبًا تجمع أربعين حديثًا، إما أنها تختص بموضوع ما، أو تختص بكتب، أو تختص ببلد، أو تمتاز بصفة ...الخ، مما يدل على أنهم لا فيه يرون ضعفًا شديدًا، وأنهم عملوا بمدلوله من قبيل فضائل الأعمال، والله أعلم.

(٢) البخاري في العلم، باب من كذب على النبي ﷺ برقم ١٠٦. عن علي كرم الله وجهه.

(٣) البخاري في الجنائز، برقم ١٢٢٩؛ ومسلم في المقدمة برقم ٤.

أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ»[١].

ولذلك نجد أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم بذلوا جهودًا مضنية في حفظ السنة ونقلها، مع التثبُّت الكامل من صحة ما يرْوونه عن النبيِّ ﷺ، ومن يتتبع سِيَرَهم في ذلك يجد العجبَ العُجَاب، ولذلك سأقتصر على ذكر نماذج من هذا العمل الدؤوب والصبر العجيب، فقد ذكر البخاريُّ في الأدب المفرد، أنَّ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلغه حديثٌ عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، فأراد أن يتوثَّق منه، فيقول: فابتعتُ بعيرًا فشددت إليه رحلي شهرًا، حتى قدمتُ الشام فإذا عبد الله بن أُنيس، فبعثت إليه أنَّ جابرًا بالباب، فرجع الرسولُ فقال: جابرُ بن عبد الله؟ فقلتُ: نعم، فخرج فاعتنقني، قلتُ: حديثٌ بلغني لم أسمعْهُ، خشيتُ أن أموتَ أو تموتَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**يحشرُ اللهُ العبادَ أو النَّاس عراةً غُرْلاً بُهْمًا**»، قلنا: ما بهمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد**» ـ أحسبه قال ـ «**كما يسمعه من قَرُب، أنا الملكُ لا ينبغي لأحد من أهل الجنَّةِ يدخل الجنَّةَ، وأحد من أهل النَّار يطلبه بمظْلَمةٍ، ولا ينبغي لأحد من أهل النَّار يدخل النَّار وأحدٌ من أهل الجنَّة يطلبه بمظلمة**»، قلتُ: وكيف وإنما نأتي الله عُرَاةً بُهْمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»[٢].

وكذلك كان حِرص التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في نقل السنَّة، فهذا سعيد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٤٩٧؛ وابن حبان في صحيحه ١: ٢٦٤، قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) الأدب المفرد ١: ٣٣٧.

ابن المسيب رحمه الله تعالى يقول: «كنتُ أرحَلُ الأيامَ والليالي في طلب الحديث الواحد»[١].

بل قد بلغ من شدَّة كَلَفهم واهتمامِهم بحديث رسول الله ﷺ أن يتمنَّى ملوكُ الدنيا أن يكونوا ممن يحفظون الحديث ويروونه لطلبة العلم والعلماء، فهذا الخليفة أبو جعفر المنصور يُقال له: هل بقي من لذات الدُّنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث، يقول المستملي: من ذكرت رحمك الله؟ ـ يعني: فأقول: حدثنا فلان، قال: حدثنا... ـ قال: فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر، فقال لهم: لستُم بهم، إنَّما هم الدَّنسةُ ثيابُهم، المشَقَّقَةُ أرجلُهم، الطويلةُ شعورهم، برد الآفاق، ونقلة الحديث»[٢]، ومثله الخليفة المأمون[٣].

واستمرت جهود المحدِّثين إلى أن دُوِّن حديثُ رسول الله ﷺ، ولكن لم تتوقف الجهود عند ذلك الحدِّ، بل استمرت لتبيِّن صحيحَ الحديث من غيره، وتنخُلَ السنةَ مما شابها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، بمنهج نقدي دقيق لا يوجد له مثيل في الدنيا[٤]، وبذلك تحقق تطلُّع النبي ﷺ واستشرافُه لحفظ سنته ونقلها إلى أمته من بعده.

---

(١) انظر: صفحات من صبر العلماء لأبو غدة ص٥٠.

(٢) صفحات من صبر العلماء لأبو غدة ص١٠٠.

(٣) المصدر السابق ص١٠٣.

(٤) ينظر مثلاً: السنة ومكانتها في التشريع لإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، ومنهج النقد عند المحدثين للدكتور نور الدين عتر.

٨ـ الاحتراز من الفتوى بغير علم، وتعيين الأكفاء لها :

إذا كانت الفتوى تَبْيِينُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَنْ دَلِيلٍ[١]، فلا بدَّ لمن يقوم بها من أن يكون متمكِّنًا من معرفة الأحكام الشرعية، قادرًا على بيان حكم الوقائع والمستجدات، حافظًا لأكثر الفقه[٢]؛ وأن يكون عالمًا بالأسرار والحِكم والغايات والمعاني من الأحكام والتشريعات التي شرعها الله تعالى لعباده، فالشريعة إنَّما وضعها الله تعالى لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم[٣].

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمته من الفتيا بغير علم، فقال ﷺ: «**أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا، أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ**»[٤]، وأخبر بأن من يفتي الناس بغير علم يرجع إثم ذلك عليه، فقال ﷺ: «**مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ**»[٥].

والنبي ﷺ عندما حذر من الجرأة في الفتوى، إنما كان يستشرف بالوحي ما سيكون بعده من تسنم بعض الأدعياء لمنصب الإفتاء وتجرؤهم على دين الله تعالى، وهذا ما أخبر عنه بقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لا**

---

(١) صفة الفتوى والمستفتى لابن حمدان ص٤.

(٢) انظر: غياث الأمم في التياث الظلم ص٤٠٣؛ وصفة الفتوى لابن حمدان ص٤٤؛ البحر المحيط ٦: ٣٠٦.

(٣) الموافقات ٢: ٤.

(٤) أخرجه الدارمي في المقدمة مرفوعًا مرسلاً عن عبيد الله بن أبي جعفر ١: ٦٩ برقم ١٥٧.

(٥) أخرجه أبو داود في العلم برقم ٣٦٥٧، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ٥٣؛ والدارمي برقم ١٥٩.

يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[(١)].

فتحذير النبي ﷺ من الجرأة في الفتوى، وإخباره عما سيكون عليه حال النَّاس من تنصيب الجُهَّال للفتوى، كان استشرافًا بالوحي وتخطيطًا لمستقبل الأمَّة، وذلك ليحترز أفراد الأمَّة من الفتوى بغير علم، وينصِّبُوا أصحاب العلم والكفاءة لهذا المنصب، بل ويبذلوا غاية جهدهم لتأهيل الأَكْفَاء لهذا المنصب الديني الخطير.

وقد كان جيل الصحابة رضوان الله عليهم أولَ الناس استجابة لذلك، فما كانوا ليجترؤوا على الفتوى، ولا ليقتحموها بعد ما سمعوا من تحذير رسول الله ﷺ عن ذلك، فهذا البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما فيهم رجل إلا وهو يحب الكفاية في الفتوى»[(٢)].

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سئل عن مسألة قال: اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمر الناس فضعها في عنقه، ويقول: يريدون أن يجعلونا جسرًا يمرون علينا على جهنم»[(٣)].

وأما عبد الرحمن بن أبي ليلى التابعي الجليل فيقول: «أدركتُ

---

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: كيف يقبض العلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص برقم ١٠٠؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧٣.

(٢) الفقهيه والمتفقهة ٢: ١٦.

(٣) فيض القدير للمناوي ١: ١٥٩.

عشرين ومائة من أصحاب النبيِّ ﷺ من الأنصار، إذا سئل أحدهم عن الشيء أحبَّ أن يكفيه صاحبُه»[١].

ويقول محمد بن سيرين: «لم يكن أحد بعد النبيِّ ﷺ أهيبَ لِمَا لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيبَ لما لا يعلَم من عمر، وإنَّ أبا بكر نزلت به قضيةٌ فلم يجد لها من كتاب الله تعالى أصلاً، ولا في السنَّة أثرًا، فقال: أجتهد رأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله»[٢].

وقد كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخاطب الناس فيقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾...»[٣]. وكان يقول كذلك: «من أفتى النَّاس بكلِّ ما يسألونه فهو مجنونٌ»[٤].

وكذلك سار التابعون على نهج سلفهم، فكانوا يتحرَّزُون من الفتوى ويتحرَّجُون منها، ويعتبرون الجُرْأة عليها من قلَّة العلم، فهذا سفيان بن عيينة يقول: «أَجسَرُ النَّاس على الفتيا أقلُّهُم عِلمًا»[٥]، وأما

(١) أخلاق العلماء للآجري ص١٠٩.
(٢) جامع بيان العلم ٢: ٥١.
(٣) أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم ٢٧٩٨.
(٤) المعجم الكبير ٩: ١٨٨.
(٥) صفة الفتوى والمستفتى لابن حمدان ص٨.

عطاء بن السائب التابعي فيقول: «أدركت أقوامًا يُسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعُد»[١].

ولم يكن كبارُ علماء التابعين ومن سار على نهجهم يستحييون من كلمة: لا أدري، فهذا الإمام مالك بن أنس، إمام أهل المدينة يُسأل عن ثمان وأربعين مسألة، فيقول في ثنتين وثلاثين منها: لا أدري[٢]، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل كان يكثر أن يقول: لا أدري، وذلك فيما عَرَف الأقاويل فيه[٣]، وأما الإمام الشافعي فقد سُئل عن مسألة فلم يجب، فقيل له، فقال: حتى أدري أنَّ الفضل في السكوت أو في الجواب[٤]، وأما الإمامُ أبو حنيفة فكان يقول: «لولا الفَرَقُ[٥] من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت، يكون لهم المهنأ، وعليَّ الوزر»[٦].

وسئل الشَعْبيُّ عن شيء، فقال: لا أدري، فقيل: ألا تستحي من قولك لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟! فقال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[٧]، وغير ذلك كثير.

ولذلك نجد محمد بن عجلان يقول: «إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتلُه»[٨].

---

(١) آداب الفتوى للنووي ص.

(٢) صفة الفتوى والمستفتى لابن حمدان ص٨.

(٣) المصدر السابق ص١٠.

(٤) المصدر السابق ص١٠.

(٥) الخوف.

(٦) آداب الفتوى للنووي ص١٦.

(٧) صفة الفتوى والمستفتى لابن حمدان ص٩.

(٨) جامع بيان العلم ٢: ٥٤؛ وصفة الفتوى والمستفتى لابن حمدان ص٧.

هكذا كان السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مع ما كانوا عليه من علم وفهم، أما النَّاس في زماننا هذا فقد استهانوا بأمر الفتوى، وأصبحت الجُرأَة والتَّسَرُّع في الفتوى مع ضعف الإمكانات وقلَّة العلم سِمَةُ العصر، مما ينذر بالخطر والمصيبة التي أشار إليها رسول الله ﷺ في قوله: «**إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

فلذلك ينبغي على من ينصب نفسه للفتوى أن يتَّق الله ولا يتَسَرَّع، وأن يقول لما لا يعلم: لا أدري والله أعلم، ويرحم الله الإمام مالك ابن أنس حيث يقول: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك»(٢)، ويقول كذلك: «ما أجبت في الفتوى حتى سألتُ من هو أعلم مني: هل يراني موضعًا لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك»(٣).

كما ينبغي على ولاة أمور المسلمين أن لا ينصِّبوا لهذا المنصب الخطير إلا من شهد العلماء بعلمه وورعه وتقواه، وقد أشار الخطيب البغدادي إلى ما يشبه ذلك فقال: «والطريق للإمام إلى معرفة حال من يريد نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته، والمشهورين من

---

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: كيف يقبض العلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص برقم ١٠٠؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧٣.

(٢) الفقيه والمتفقهة ٢: ٣٢٥.

(٣) المصدر السابق ٢: ٣٢٦.

فقهاء عصره، ويُعَوَّلُ على ما يخبرونه من أمره»[١].

٩ـ السعي للتجديد مع الاطمئنان بأن الله تعالى يحفظ دينه :

لا شكَّ أنَّ الله تعالى تعهَّد بحفظ كتابه من التحريف والتبديل فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وقد قيَّضَ الله لهذا الحفظِ أقوامًا يحفظون كتابَه، ويدرسونه، ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف،... فلو حاول أحد تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى[٢].

وكما حفظ الله كتابه من التحريف والتغيير، قيَّضَ لأحكامه وشرائعه من يحفظها ويزيل عنها ما علق بها من البِدَع والانحرافات، وقد بشَّرنا رسول الله ﷺ بذلك مستشرفًا بالوحي لما سيكون فقال: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[٣]، وذلك عندما يقلُّ العلم والسُّنة، ويكثر الجهل والبِدعة[٤].

فالمُجَدِّدُ الذي أخبرنا عنه رسولُ الله ﷺ يحيي ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما[٥]، ويبيِّن السنة من البدعة،

---

(١) الفقيه والمتفقهة ٢: ٣٢٥.

(٢) تفسير الرازي مج١٠: ١٧٠.

(٣) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة في الملاحم في باب: ما يذكر في قرن المائة برقم ٤٢٩١؛ والحاكم في المستدرك ٤: ٥٦٧ وصححه وسكت عنه الذهبي؛ وقد صححه البيهقي في المدخل والزين العراقي وابن حجر، والعلقمي والمناوي في شرح الجامع الصغير٢: ٣٥٨. قال السيوطي في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه.

(٤) عون المعبود ١١: ٢٦٣.

(٥) المصدر السابق ١١: ٢٦٠.

ويكْثِرُ العلمَ وينصر أهلَه، ويكسرُ أهلَ البدعة ويذلُهم، ولا بدَّ لهذا المجدد أن يكون عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة[١].

وقد نقل صاحب عون المعبود في شرحه عن كتاب مجالس الأبرار قوله: «ولا يُعلم ذلك المُجَدِّد إلا بغلبة الظنِّ ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه، إذ المجدد للدِّين لا بد أن يكون عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاصرًا للسنَّة، قامعًا للبدعة، وأن يعُمَّ علمُهُ أهلَ زمانه، وإنَّمَا كان التجديد على رأس كلِّ مائة سنة؛ لانخرام العلماء فيه غالبًا، واندراسِ السنن وظهور البِدع، فيُحتَاج حينئذ إلى تجديد الدِّين، فيأتي اللهُ تعالى من الخلق بعوضٍ من السلف، إما واحدًا أو متعددًا»[٢].

قال السهانفوري في بذل المجهود: «والأظهر عندي: أنَّ المراد بمن يجدد ليس شخصًا واحدًا، بل المُراد به جماعة، يجدد كلُّ واحدٍ في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسَّرَ من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سببًا لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه، إلى أن يأتي أمرُ الله...»[٣].

ومما سبق تقريره نستطيع القول: إنَّ هذا الحديث هو استشراف وإخبار منَ النبيِّ ﷺ لما سيكون، ولكنَّه يحمل في طياته تخطيطًا وتوجيهًا وإرشادًا، وذلك لينبري أقوامٌ من هذه الأمَّة في كلِّ عصر من

(١) فيض القدير ٢: ٣٥٧.
(٢) عون المعبود ١١: ٢٦٣.
(٣) بذل المجهود ١٧: ٢٠٢.

العصور، ويبذلوا قُصارى جهودهم في العلم والتعليم، لعلَّ الله تعالى أن يجعل تجديدَ أمر الدِّين على أيديهم، مع الإشارة إلى أن هذا التجديد المرجُوَ لا بدَّ أن يكون وفقَ الضوابط والأصول الشرعية، لا كما فهمه بعضُ الناس، فجعلوا الانحراف والتضليل والمسخ لدين الله تجديداً!!

كما يُفهم من دلالة الحديث بأن دِين الله تعالى وشرعَه محفوظٌ، وأنَّ الله سيهيئ له في كلِّ زمن من يجدده ويزيلُ عنه ما عَلِقَ به مما ليس منه، فلا ينبغي لمؤمن أن يشكِّكَ في شرع الله، لأنَّ اللهَ تعالى سيُقَيِّضُ لهذا الدِّين من العلماء العدول من يصحح المسار، ويزيل عن شرع الله تعالى ما لحق به من ابتداع أو انحراف.

١٠ـ الاهتمام بالعلوم الفلكية :

إنّ ممَّا يَلْحَظُه المتتبع لآيات من كتاب الله تعالى هو الحديث المطوَّل في أكثر من موضع من القرآن الكريم عن السموات وما فيها من كواكب ونجوم وشُهب، وعن الأرض وما عليها من جبال وأنهار ومخلوقات، ثمَّ الحديثُ عن حِكمة ومنافع هذا الخلق، فيقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]؛ ويقول كذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]؛ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

ثم نجد آياتٍ في كتاب الله تعالى تدعو الإنسان إلى التفكر والنظر في هذا الخلق العظيم، فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقوله تعالى في الآية الجامعة لكثير من المظاهر الكونية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وهذا التذييل الذي اختتم الله به الآية فيه دعوةٌ لأصحاب العقول أن لا يقفوا عند هذه المظاهر، بل يتعقَّلوها ويفكِّروا بالأسرار الكامنة وراءَها.

وأما السنَّة النبوية فنجد فيها قولَه ﷺ: «**إنَّ خِيَار عباد الله الذين يُرَاعون الشمسَ والقمر والنُّجوم والأَظِلةَ لذكر الله**»، وفي رواية البزار: «**أَحَبُّ عَبَّادِ اللهِ إِلَى اللهِ**»[(١)].

وفي هذا الحديث تطلُّع واستشراف واضح من النبيِّ ﷺ لأن يكون من أمته أناس يهتمون بتتبع شؤون الشمس والقمر والآثار التي تترتب على هاتين الآيتين العظيمتين، وفقَ أسسٍ علميةٍ خاليةٍ من الخُرَافات والأوهام والأساطير، فهو الذي قال ﷺ عندما خَسَفَتِ الشَّمْسُ وقتَ وفاة ولدِه إبراهيم عليه السلام: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِن آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ١: ١١٥عن ابن أبي أوفى؛ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١: ١١١ وقال: هو حديث غريب صحيح؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٢: ٨٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله موثقون، لكنه معلول.

وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا»[(١)].

وكذلك نجد قولَ النبيِّ ﷺ الذي يرويه الإمامُ مالك بلاغًا: «إذا أنشأت بَحْرِيَّةٌ ثم تشاءَمَتْ، فتلك عين غُدَيقة»[(٢)]. ومعنى هذا الحديث كما قال الإمام مَالِك: إِذَا ضَرَبَتْ رِيحٌ بَحْرِيَّةٌ فَأَنْشَأَتْ سَحَابًا، ثُمَّ ضَرَبَتْ رِيحٌ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ فَتِلْكَ عَلامَةُ الْمَطَرِ الْغَزِير[(٣)].

فهذا الحديث يدلُّ بمفهومه على جواز الاهتمام بأمورِ الطقس، واستشراف ما سيكون وفق قواعد وأسس تجريبية تعتمد على مقدمات منطقية واقعية.

ولا يتعارض هذا مع حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه زَيْد بن خَالِد الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِن اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ**

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب: الصلاة في كسوف الشمس برقم ٩٩٣؛ ومسلم في الكسوف برقم ٩٠١.

(٢) الموطأ في كتاب الصلاة، باب: الاستمطار بالنجوم ٢: ٢٦٩ برقم ٦٥٤؛ وقد وصله ابن الصلاح في كتابه: وصل بلاغات مالك ١: ٨ وقال: رواهُ الثِّقةُ ابنُ أبي الدُّنيا في (كتاب المَطَر) لهُ، وفيه استدراكٌ عَلَى الحافظَين حَمزَةَ بنِ محمّدِ وابنِ عبدِ البَرِّ، وليسَ إسنادُهُ بذاكَ؛ لِمكانِ محمّدِ بنِ عُمرَ؛ والظَّاهرُ أَنَّهُ الواقديّ، وذكره الهيثمي في المجمع موصولاً ٢: ٤٦٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: تفرد به الواقدي، قلت: وفي الواقدي كلام وثقه غير واحد، وبقية رجاله لا بأس بهم وقد وثقوا.

(٣) المنتقى شرح الموطأ ١: ٣٣٥.

الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1]، لأنَّ هناك فَرْقًا بين من ينسب المطر إلى النَّوء والطقس، ومن ينسبها إلى فضل الله مع الاستدلال عليها بالمظاهر الكونية التي أقامها الله تعالى سببًا وعلامة على وجودها.

ولذلك نجد الإمام العيني شارح البخاري ينقل عن أحدهم قوله: «وقد أجاز العلماء أن يُقَال: مُطِرْنا في نوء كذا، ولا يُقال: بنوء كذا»[2].

كما أنَّ هناك لفتةً رائعةً أشار إليها الإمامُ الباجي في شرحه للموطأ فقال: «إِنَّمَا أَدْخَلَ مَالِكٌ رحمه الله هَذَا الْحَدِيثَ بأثر حَدِيثِ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ؛ لِيُبَيِّنَ مَا يَجُوزُ لِلْقَائِلِ أَن يَقُولَ لِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، مِثْلُ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي كَثِيرٍ مِن الْبِلادِ بِأَن يُمْطَرُوا بِالرِّيحِ الْغَرْبِيَّةِ، وَفِي بِلادٍ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ فَيَسْتَبْشِرُ مُنْتَظِرُ الْمَطَرِ إِذَا رَأَى الرِّيحَ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ ذَلِكَ الْبَلَدِ أَن يُمْطَرُوا بِهَا، مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّ الرِّيحَ لا تَأْثِيرَ لَهَا فِي ذَلِكَ وَلا فِعْلَ وَلا سَبَبَ، وَإِنَّمَا اللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُنَزِّلُ لِلْغَيْثِ وَقَدْ أَجْرَى الْعَادَاتِ بِإِنْزَالِهِ عِنْدَ أَحْوَالٍ يُرِيهَا عِبَادَهُ، وَلَوْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِنُزُولِ الْمَطَرِ عِنْدَ نَوْءٍ مِنَ الأَنْوَاءِ فَاسْتَبْشَرَ أَحَدٌ لِنُزُولِهِ عِنْدَ ذَلِكَ النَّوْءِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ بِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ النَّوْءَ لا تَأْثِيرَ لَهُ فِي نُزُولِ الْمَطَرِ، وَلا هُوَ فَاعِلٌ لَهُ وَلا أَثَرَ لَهُ فِيهِ، وَأَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِإِنْزَالِهِ هُوَ اللهُ

(١) أخرجه البخاري في الأذان برقم ٨١٠؛ ومسلم في الإيمان برقم ٧١.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩: ٤٣١.

تَعَالَى، لَمَا كَفَرَ بِذَلِكَ بَلْ يَعْتَقِدُ الْحَقَّ، وَإِنَّمَا كَفَرَ مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا لِإِضَافَةِ الْمَطَرِ إِلَى النَّوْءِ، وَاعْتِقَادِهِ أَنَّ لَهُ فِيهِ تَأْثِيرًا أَوْ فِعْلاً، مَعَ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ بِوَجْهٍ وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ قَائِلُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِوُرُودِ الشَّرْعِ بِالْمَنْعِ مِنْهُ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ إِيهَامِ السَّامِعِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ»[١].

وقد رُوِي أنَّ النَّاس أصابهم القحطُ في زمان عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال للعبَّاس: كم بقي لنوء الثريَّا؟ فقال له العبَّاسُ: زَعَمُوا يا أمير المؤمنين أنَّها تَعْتَرِض الأفق سبعًا، فما مرت حتى نزلَ المطر، فانظر إلى عمرَ والعبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قد ذكرا الثُّريا ونوءَها وتوقعا ذلك[٢].

ولا يَرِدُ على جواز الاهتمام بعلم الهيئة والفلك ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: «**مَن اقْتَبَسَ عِلْمًا مِن النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِن السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**»[٣]، لأنَّ المُحَرَّم الذي يقصده النبيُّ ﷺ في الحديث ـ والله أعلم ـ هو ما لا يعتمد على أسباب كونيَّةٍ، أو أُسُسٍ وأصول علمية منطقية، أمَّا ما كان من قبيل المعرفة المُتَأتِّيَة من إتقان معرفة الأسباب، فلا يدخل في النهي، والله أعلم.

ولذلك نجدُ أنَّ العلماء الذين شَرَحُوا هذا الحديث لم يُعَمِّمُوا دلالاته، بل استَثْنَوا ما رَأَوا ضرورةَ معرفتِهِ، وأخرجُوه من علوم

(١) المنتقى شرح الموطأ ١ : ٣٣٥.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي ٣: ٣٢٧؛ وأوضح المسالك ٤: ١٥٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١: ٣١١ عن ابن عباس، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير الوليد بن عبد الله بن أبي المغيث، وأبو داود في الطب، باب:في النجوم برقم ٣٩٠٥؛ وابن ماجه في الأدب، باب: تعلم النجوم برقم ٣٧٢٦.

التَّنجيم المحرَّم، وذلك كمعرفة أوقات الصَّلاة وجهةِ القِبْلَة[١].

وفي سياق ضرورة التَّعَرُّف إلى السنن الكونية يقول الشيخ محمد عبده: «إنَّ العلمَ بسُنَنِ الله تعالى لا يعدلُه إلا العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بل هو منه، أو طريقه الموصِلُ إليه»[٢].

ويقول كذلك: «إنَّ إرشادَ اللهِ إيَّانا إلى أنَّ له في خلقه سُنَنًا يوجِبُ علينا أن نجعل هذه السُّنن عِلْمًا من العلوم المدوَّنة، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمَّة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبيِّنُون لها سننَ اللهِ في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبَيَّنَهَا العلماءُ بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلمُ بسُنن الله تعالى من أهمِّ العلوم وأنفعِهَا، والقرآن يحيل عليه في مواضع»[٣].

وإذا استعرضنا جهود علماء المسلمين في علوم الفلك والهيئة عبرَ التاريخ، نجد أنَّهم لم يفهَمُوا التَّحريمَ والمنع من خلال ما وَرَدَ من أحاديث وآثارٍ يَدُلُّ ظاهرُهَا على ذلك، بل فهموا ضرورة الاهتمام والاعتناء بهذا العلم، فأَحَلُّوه مكانًا رفيعًا؛ لأنَّه يعينهم على التَّدَبُّر في دقَّة صنعِ الخالق، والتَّفَكُّر في ملكوت السموات والأرض، كما يُعِينُهُم في تعيين سَمْتِ القِبْلة، وتحديدِ أوقاتِ الصَّلاة للبلاد

(١) عون المعبود ١٠: ٢٨٥؛ وحاشية السندي على ابن ماجه ٧: ١٣٠.

(٢) تفسير المنار عند الكلام على الآية ٦٨ من سورة الأنعام.

(٣) تفسير المنار ٤: ١٣٩.

المختلفة، ورَصد الخرائط الجغرافية والفلكيَّةِ المُعِيْنَةِ للملاَّحِين والبَحَّارَةِ وغيرِهم[١].

كما نجدُ أنَّ عُلَمَاء العربِ والمسلمين لم يَكتَفُوا بنقل العلوم الفلكيَّة عن الحضارات القديمة، بل صححوها وحفظوها من الضياع، وأضافوا إليها إضافات جوهريرية تدُلُّ على طول باعِهِم في هذا الميدان، ويكفيهم فَخْرًا أنَّهُم استطاعوا تحويلَ علمِ الفَلَكِ من الحَيِّزِ النَّظَرِي إلى مجال التَّجارب العلمية، وفوقَ هذا كلِّه: تطهيرُهم علمَ الفلك من أَدْرَان التَّنجِيم[٢]، لذلك أصبح علم الفلك بفضل علماء العرب والمسلمين علمًا استقرائيًّا عمليًّا، يعتمد على الملاحظة الحسية والمقاييس العملية، مبنيًّا على الأرصاد والحسابات الفلكية المساندة على جهاز الإسطرلاب المتقدم...[٣].

ولقد بَرَزت عبر التاريخ في هذا العلم أسماءٌ إسلامية وعربية، أحرَزُوا السَّبْقَ والرِّيَادة في هذا العلم، فمن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن إبراهيم الفَزَاري ت ١٨٠ هـ، وأبو العبَّاس الفَرَغَاني ت ٢٣٥ هـ، وثابتُ بن قُرَّةَ، ومحمد بن جابر البتاني ت ٣١٧ هـ، وابنُ زَهْرُون الحَرَّاني ت٣٨٤هـ، وابنُ يونسَ المصري ت ٣٩٩ هـ، وأبو الرَّيحَان البَيرُوني ت ٤٤٠ هـ، وغيرُهم الكثير.

---

(١) انظر مقدمة التذكرة في علم الهيئة للطوسي ص ٧.

(٢) انظر: رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية للدكتور علي الدفاع ص٣٧.

(٣) المصدر السابق ص٣٢.

فما أحرى أمتنا اليوم باستعادة زمام المبادرة والإبداع، لتصل حاضرَها بماضيها، وتستَلْهِم من دينها وتاريخها ما يُجَدِّدُ لها ما ضاع من عِزَّهَا ورِيَادَتها، ويعيدُ لها مكانتَهَا وهيبتَهَا بين الأمم والشعوب، وتجعل العلوم الفلكيَّة وما يتعلق بها من جملة اهتماماتها، لتُوَاكِبَ حركةَ التَّطورِ الهائلِ الذي حصل فيها.

١١ـ الحذرُ من الفِرَقِ الضالَّة والمذاهب الفكرية الهدَّامَة :

كشف الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنَّه سيكون من أمته قومٌ يسلكون مسالك الهوى والضلال، ويجادلون بالباطل، ويبثون بين المسلمين ما يضرُّ بدينهم وعقائدهم؛ ويتَفَرَّقُون شِيَعًا، فلذلك حذَّر النبيُّ ﷺ أمتَه منهم، وأبان لهم عظيم خطرهم، وسوء مسالكهم، مما يستدعي من علماء الأمة أن يلزموا منهجًا متكاملاً لحصانة الفكر من زيغهم وضلال عقائدهم.

وقد ظهر أهل البِدع والأهواء والضلال في المجتمع الإسلامي كما أخبر رسولُ الله ﷺ، فكان لا بدَّ من اتخاذ مواقف تناسب خطرَهم، فنشَطَ العلماءُ للتَّحذِير من مفاسدِهم، وتفنيدِ شُبَهِهِم، وأَلَفُوا كتبَ الفِرَق والأديان التي تبيِّن أصولَ مذاهبهم ومعتقداتهم، فكان ذلك كلُّه أثرًا من آثار استشراف النبيِّ ﷺ للمستقبل، وتخطيطًا للموقف الذي ينبغي أن يلتزمه المسلمون عند ظهور مثل هذه الفئات من الناس.

ومن التحذيرات النبوية ما رواه ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**الْقَدَرِيَّةُ**[١] **مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**[٢]، **إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ**»[٣].

وقد ذكر لنا رسولُ الله ﷺ بعضًا من صفاتِ أهل البِدَع، وهي أَنَّهُم يُحَدِّثُون بالغرائب كَذِبًا ودَجَلاً، ويبتدعون ولا يتَّبِعُون، ويُحِلُّون الحرامَ ويحرِّمُون الحلال، ففي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يكون في آخرِ الزمان دَجَّالُون كَذَّابُون، يأتونكم منَ الأحاديثِ**

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لمسلم ١: ١٥٤: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَب أَهْل الْحَقّ إِثْبَات الْقَدَر وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَدَّرَ الأَشْيَاء فِي الْقِدَم، وَعَلِمَ ـ سُبْحَانه ـ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَات مَعْلُومَة عِنْده ـ سُبْحَانه وَتَعَالَى ـ وَعَلَى صِفَات مَخْصُوصَة، فَهِيَ تَقَع عَلَى حَسْب مَا قَدَّرَهَا سُبْحَانه وَتَعَالَى، وَأَنْكَرَت الْقَدَرِيَّةُ هَذَا وَزَعَمْت أَنَّهُ ـ سُبْحَانه وَتَعَالَى ـ لَمْ يُقَدِّرهَا وَلَمْ يَتَقَدَّم عِلْمه سُبْحَانه وَتَعَالَى بِهَا، وَأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةُ الْعِلْم، أَيْ: إِنَّمَا يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ بَعْدَ وُقُوعِهَا، وَكَذَبُوا عَلَى الله سُبْحَانه وَتَعَالَى، وَجَلَّ عَنْ أَقْوَالهمْ الْبَاطِلَة عُلُوًّا كَبِيرًا، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ قَدَرِيَّةً لإِنْكَارِهِمْ الْقَدَرَ».

(٢) قال الإمام الْخَطَّابِيّ: «إِنَّمَا جَعَلَهُمْ ﷺ مَجُوسًا لِمُضَاهَاة مَذْهَبهمْ مَذْهَب الْمَجُوس، فِي قَوْلهمْ بِالأَصْلَيْنِ النُّور وَالظُّلْمَة، يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخَيْر مِنْ فِعْل النُّور، وَالشَّرّ مِنْ فِعْل الظُّلْمَة، فَصَارُوا وكَذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ يُضِيفُونَ الْخَيْرَ إِلَى الله تَعَالَى وَالشَّرَّ إِلَى غَيْره، وَالله سُبْحَانه وَتَعَالَى خَالِق الْخَيْر وَالشَّرّ جَمِيعًا، لا يَكُون شَيْء مِنْهُمَا إِلاَّ بِمَشِيئَتِه، فَهُمَا مُضَافَانِ إِلَيْهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى خَلْقًا وَإِيجَادًا، وَإِلَى الْفَاعِلَيْنِ لَهُمَا مِنْ عِبَاده فِعْلاً وَاكْتِسَابًا، وَالله أَعْلَمُ». انظر: شرح النووي لمسلم ١: ١٥٤.

(٣) أخرجه أبو داود في السنة، باب القدر برقم ٤٦٩١ قال عنه الألباني: حسن، والحاكم في المستدرك ١: ١٥٩ وَقَالَ: صَحِيح عَلَى شَرْط الشَّيْخَيْنِ إِنْ صَحَّ سَمَاع أَبِي حَازِم مِنِ ابْن عُمَر، ووافقه الذهبي على ذلك؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٤١٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح وغيره، وضعفه جماعة.

بما لم تَسمعُوا أنتم ولا آباؤُكم، فإيَّاكم وإيَّاهمّ، لا يُضِلُّونَكم ولا يفْتِنُونكم»[(١)].

وعن أَبي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيَّ قال: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ بنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَن يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَل بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ: قَوْمٌ مِن جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**تفتَرِق أمَّتي على بضعٍ وسبعين فِرقَة، أعظمُها فتنةً**

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة برقم ٧.

(٢) أخرجه البخاري ي الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة برقم ٦٦٧٣؛ ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن برقم ١٨٤٧.

على أمتي قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم، فيُحِلُّون الحرامَ ويحرِّمُون الحلال»[(١)].

كما ذكر لنا بعضًا من شُبَه أهل الضلال مقترنةً بالردِّ عليها والتَّفنيدِ لها، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلالاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ كَمَا حَرَّمَ اللهُ**»[(٢)].

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمَّتَه من الجَدَل، سواء كان الإنسان مُحِقًّا أو مُبْطِلاً، فقال ﷺ: «**ما ضَلَّ قومٌ بعدَ هدي إلاَّ أوتُوا الجدل**»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[(٣)]، وكذلك ما رُوِي عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ**[(٤)] **الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِن كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٣١، وسكت عنه الذهبي في التلخيص؛ وانظر: المستدرك ٤: ٤٧٧؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٤٣٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في العلم برقم ٢٦٦٤ وقال: حديث حسن غريب؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ١٢؛ والدارمي في المقدمة برقم ٥٨٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٢٥٢ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه: حسن بطرقه وشواهده، والحاكم في المستدرك ٢: ٤٨٦ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) الرَّبض: حوالي الجنَّة وأطرافها.

لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(١).

وقد ورد عن السَّلف في ذلك جملةٌ من الأقوال، منها ما قاله مسلِم بنُ يَسَار البصري: «إياكُم والمراءَ، فإنَّهَا ساعةُ جهلِ العالِمِ، وبها يَبْتَغِي الشَّيطانُ زَلَتَهُ»(٢)، وقال الحسن البصري: «ما رأينا فقيهًا يماري»(٣).

١٢ـ الحذر من فشو الجهل في المجتمع :

كشف اللهُ تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنَّ العلم سيُرفَعُ من أمته بين يدي الساعة ويفشُو الجهلُ فيها، فأخبرنا ﷺ بذلك فقال: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَن يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا**»(٤).

وفي رواية: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ لأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ**»(٥).

وقد ذكر لنا رسولُ الله ﷺ دلائلَ وإشاراتٍ على بِدْءِ فشوِ الجهل في هذه الأمَّة وارتفاع العلم منها، من ذلك:

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب: حسن الخلق برقم ٤٨٠٠؛ والترمذي في البر والصلة برقم ١٩٩.

(٢) أخلاق العلماء للآجري ص٦٩.

(٣) المصدر السابق ص٦٩.

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل برقم ٨٠؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧١.

(٥) أخرجه البخاري في الفتن برقم ٦٦٥٣؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧٢.

ـ **كثرةُ القرَّاءِ للقرآن، وقلَّة الفقهاء**: وهو نذير خطرٍ؛ لأنَّ القُرَّاء الذين أشار إليهم رسولُ الله ﷺ هنا ليسُوا علماء، كما كان يُفْهَم من ذلك في العصور الأولى، إنَّمَا هم قومٌ اكتفَوا بإتقان القراءةِ للقُرآن، وتقَاصَرت هممُهُم وضعُفَت عن طلب العِلم وفهمِ ما يقرَؤُون.

ثم يخبرنا رسولُ الله ﷺ عن زمنٍ يظهر فيه قُرَّاءُ للقُرآن ليس هدفُهم من ذلك القُرْبَة إلى الله تعالى، إنَّما هو لَفْتِ الأنظارِ واكتسابِ الشهرة والمنزِلة عند النَّاس، مع قلَّةٍ في الفِقْه، وفسادٍ في الدِّين، فيقول ﷺ: «**سيأتي على أمتي زمَانٌ تكثُر فيه القُرْاءُ، وتَقِلُّ الفقهاءُ، ويُقبَضُ العلمُ، ويكثرُ الهَرَجُ**»، قالوا: وما الهرجُ يا رسولَ الله؟ قال: «**القتلُ بينكم، ثمَّ يأتي بعد ذلك زمانٌ يَقْرَأُ القرآنَ رِجالٌ لا يجاوزُ تَرَاقِيَّهُم، ثمَّ يأتي من بعد ذلك زمانٌ يجادلُ المنافقُ الكافرُ المشركُ بالله المؤمنَ بمثلِ ما يقول**»[1].

وهؤلاء الذين أشار إليهم رسولُ الله ﷺ هم أوَّلُ من يُقْضَى عليهم يومَ القيامة، بل وتُسَعَّر بهم النَّار، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ...، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ**

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ٤: ٥٠٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...»[١].

ـ **وكذلك كثرة الخطباء وقِلَّة العلماء**: فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُم اليومَ في زَمانٍ كَثيرٌ علماؤُه قليلٌ خُطباؤه، من ترك عَشِير ما يعرف فقد هوى، ويأتي من بَعْدُ زمانٌ كثيرٌ خطباؤُه قليلٌ علماؤُه من استمسكَ بعشِيرِ ما يعرِفُ فقد نَجَا**»[٢].

وفي هذا الحديث إخبارٌ من رسول الله ﷺ عن اهتمام الخطباء بفنون الخطابة والتأثير على النَّاس ولَفت انتباههم، مع ضعف المحتوى بسبب إهمال العلم.

ونخلُص ممَّا سبق: إلى أنَّ إخبار رسول الله ﷺ بما سيكون عليه حالُ النَّاس يحمل بين ثناياه تحذيرًا وإنذارًا، وذلك بأن لا نكونَ سببًا في وقوع هذه المصائب والفواجع التي ستصيب العالم بين يدي الساعة، مما يستدعي من أفراد المجتمع المسلم مزيدًا من الإصرار والتشبث بطريق العلم والمعرفة والاستزادة منهما؛ وحذرًا شديدًا من فشو الجهل؛ وذلك لنحمي أنفسنا وأمتنا من هذه الكوارث التي ستصيب المجتمعات الإنسانية آخر الزمان.

** ** **

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة برقم ١٩٠٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ١٥٥بسند ضعيف لجهالة الراوي عن الصحابي، والهروي في ذم الكلام ١: ١٤ ـ ١٥عن أبي ذر؛ وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة بسند الهروي ٦: ٤٠ برقم ٢٥١٠.

المطلب الثاني

آثار التخطيط في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية

١ـ التَّخَصُّصُ في ميدان العلوم :

إنَّ فِكرة التَّخصص بعلم من العلوم فكرةٌ قديمة، نَمَتْ بذورُهَا في زمن رسول الله ﷺ، فقد كان النبيُّ ﷺ يمتدحُ بعضَ أصحابه لتَميُّزِهم بجانب من جوانب العلم، مع التَّأكيد على أنَّ الموسوعيَّةَ وتَعَدُّدَ المعارِف كانت سِمَةُ العصر آنذاك، إلاَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد بهذا الثناء ـ والله أعلم ـ أن يحفِّز الذين مُدحُوا ليُكرِّسُوا جهودَهم وإمكاناتهم لخدمة هذا الجانب والعناية به، كما يمكن لنا أن نفهم من ذلك تَطلُّعَ النَّبيِّ ﷺ واستشرافَهُ وتخطيطَهُ لظهورِ التَّخصُّص بين أفراد أمته.

فنجد مثالاً لذلك: ثناء النبي ﷺ على عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحسن القضاء وإجادته، بقوله ﷺ: «**أقضى أمتي عليٌّ بنُ أبي طالب**»[(١)]، وذلك لتميُّزه بهذا الجانب، مع العلم بتعَدُّد جوانب

---

(١) أخرجه الطبرانى في الصغير ١: ٣٣٥ برقم ٥٥٦؛ وأورده الحافظ في التلخيص ٣: ٧٩؛ وفي صحيح البخاري في التفسير برقم ٤٢١١ موقوفًا على عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:«أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ»؛ قال ابن حجر في الفتح ٨: ١٦٧: وأما قوله: «وأقضانا علي»، فورد في حديث مرفوع أيضا عن أنس رفعه: «أقضى أمتي علي بن أبي طالب»، أخرجه البغوي، وعن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلاً: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقضاهم علي» الحديث، ورويناه موصولاً في فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبي سعيد الخدري مثله، وروى البزار من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

المعرفة في شخص سيدنا عليّ كرم الله وجهه.

وكذلك ثناؤه على زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنَّه من أعلم الصحابة بالفرائض، بقوله ﷺ: «**أَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ**»[(١)]، مع أنَّ زيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عَالمًا بالقرآن، وقارئًا، وكاتبًا، وعالمًا بحديث رسول الله ﷺ وفقيهًا، بل كان زيدُ بنُ ثابت رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة[(٢)]، ولكن أراد النبيُّ ﷺ أن يُعَزِّزَ فيه هذا الجانب ليبرُز فيه دون غيره من الجوانب، وذلك ليرسِّخ فكرةَ التخصُّصِ بين أصحابه وفي أمته.

وأما أُبَيُّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأثنى عليه بأنَّه من أَقْرَأ الصحابة لكتاب الله، فقال ﷺ: «**وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ**»[(٣)].

وأثنى على معاذ بن جبل بأنَّه أعلم الصحابة بالحلال والحرام، فقال ﷺ: «**وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٧٩٠ وقال حسن صحيح؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ١٥٥؛ والطبراني في الصغير ١: ٣٣٥ برقم ٥٥٦؛ والحاكم في المستدرك ٣: ٤٧٧ وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، قال ابن حجر في الفتح ٧: ٩٣: إسناده صحيح، وقال كذلك ٧: ١٢٦: رجاله ثقات.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٥٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب برقم ٣٧٩٠ وقال حسن صحيح؛ وابن ماجه في المقدمة برقم ١٥٥؛ والطبرانى في الصغير ١: ٣٣٥ برقم ٥٥٦؛ والحاكم في المستدرك ٣: ٤٧٧ وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، قال ابن حجر في الفتح ٧: ٩٣: إسناده صحيح، وقال كذلك ٧: ١٢٦: رجاله ثقات.

(٤) سبق تخريجه.

ولذلك نجد أن التخصص في العلوم الشرعية برز منذ العصور الأولى، وإن كان هناك بعض النماذج التي اتصفت بالموسوعية في تاريخنا الإسلامي، إلا أنَّ الغالب الأعم هو التَّخصُّص.

ولذلك اشتهرت مقولة نسمعها من العلماء في وصف التخصص، بأنه: معرفة كلِّ شيء عن شيء، وشيء عن كلِّ شيء، فالجانب المعرفي الأول هو التَّخصُّص المعرفي الدقيق، وأما الثاني فهي المعارف العامة، أو الثقافة العامة التي ينبغي أن تتوفر عند كلِّ متعلِّم ودارس.

٢ـ التأصيل لمصادر التشريع:

لم تكن مصادرُ التشريع الإسلامي التي نعرفها اليوم، وندرُسها من خلال ما يسمَّى بعلم أصول الفقه قد أُصِّلت وقُعِّدت ضمن قوالب وقواعد، ولم تكن هناك حاجة لذلك؛ لأنَّ النبي ﷺ كان بين ظهراني أصحابه رضوان الله عليهم، يبين الأحكام، ويشرِّع الشرائع، ويحكم على الوقائع والأحداث عند وقوعها، فهو المُشَرِّع المؤيَّد بالوَحْي الربَّانيِّ.

ولكنَّ النبيَّ ﷺ كان يعلم أنَّه سيرحَل عن هذه الدنيا، وأنَّ الوحي السماوي سينقطع بانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأنَّ من يخلفه من أصحابه وأتباعه ومَن بعدهم سيقومون بمهمة الحكم والبيان، فكان لا بُدَّ من أن يبين لأصحابه ومن بعدهم أصول مصادر التشريع والحكم، عند وقوع الوقائع والأحداث المستجدة التي ستطرأ على المجتمع الإسلامي، ويبينَ لهم مسالكَ الاجتهاد ويدربَهُم عليه.

فجاءت النصوص النبوية لتبيِّن بأنَّ كتاب الله تعالى هو المصدر الأوَّل للتشريع، ثمَّ السنَّة النبوية، فمن ذلك ما رُوِي عن زيد بنِ أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاء يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَة، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ: أَلا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَن يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَاب الله وَرَغَّبَ فِيه...، «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[(١)]. وفي رواية الترمذي: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَن تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِن السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَن يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فيهما**»[(٢)].

وفي موطأ الإمام مالك أَنَّهُ بَلَغَهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[(٣)].

وفي حديث الْعِرْبَاض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «... **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة برقم ٣٤٨٢.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب، برقم ٣٧٨٨، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣) موطأ مالك في الجامع برقم ١٦٦١.

(٤) أحمد في المسند ٤: ١٢٦؛ أبو داود في السنة برقم ٤٦٠٧؛ والترمذي في العلم برقم=

ففي الأحاديث السابقة تصريحٌ واضح بوجوب لزومِ الكتاب والسنة في الحكم والبيان بعد انقطاع مصدر التشريع بوفاة رسول الله ﷺ، والحذر من البدع والابتداع.

أمَّا ما لم يَرِد فيه نَصٌّ من كتاب أو سنَّة فقد أقرَّ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ على الاجتهاد فيه، فمن ذلك: ما ورد عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَه إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟** قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ الله، قَالَ: **فَإِن لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ الله؟** قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: **فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله وَلا فِي كِتَابِ الله؟** قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله»[(١)].

= ٢٦٧٦؛ وابن ماجه في المقدمة ٤٢؛ والدارمي في المقدمة ٩٥.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥: ٢٤٢؛ وأبو داود في الأقضية برقم ٣٥٩٢؛ والترمذي في الأحكام برقم ١٣٢٧؛ والدارمي في المقدمة برقم ١٦٨؛ وفي صحة الحديث كلام عند علماء هذا الشأن، قال ابن كثير في تفسيره ١: ٧: «هذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد، كما هو مقرر في موضعه»، وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله فقد قال في إعلام الموقعين ١: ٢٠٢: «فهذا حديث وإن كان عن غير مسمين فهم أصحاب معاذ، فلا يضره ذلك؛ لأنه يدلُّ على شهرة الحديث، وأن الذي حدَّث به الحارثُ بن عمرو عن جماعة من أصحاب معاذ لا واحد منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سُمِّي، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدِّين والفضل والصدق بالمحلِّ الذي لا يخفى؟ ولا يُعْرَف في أصحابه متَّهَمٌ ولا كذَّابٌ ولا مجروحٌ، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارِهم، لا يشكُّ أهلُ العلم بالنَّقل في ذلك، كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث؟! وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيتَ شعبة في إسناد حديثٍ فاشدُد يديك به، قال أبو بكر الخطيب: وقد قيل: إنَّ عبادة بن نسى رواه=

قال ابن قيِّم رحمه الله تعالى: «وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يجتهدون في النَّوازل، ويقِيسُون بعضَ الأحكام على بعض، ويعتبرون النظيرَ بنظيره»... ثمَّ يقول: «وقد اجتهد الصحابةُ في زمن النبيِّ ﷺ في كثير من الأحكام ولم يعنفهم، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يُصَلُّوا العصر في بني قريظة، فاجتهد بعضُهم وصلاَّها في الطريق، وقال: لم يُرِد منَّا التأخيرَ وإنَّمَا أراد سُرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخَّرُوها إلى بني قريظة فصَلَّوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ، وهؤلاء سَلَفُ أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس»[(١)].

وقد كان إقرارُ رسول الله ﷺ لاجتهاد الصحابة بين يديه بمثابة التَّدريب العملي على استنباط الأحكام وفهم النُّصوص، كما هو تخطيط للمستقبل حيث ينقطع مصدر التشريع بموت رسول الله ﷺ، وتَجِدُّ بعضُ الأمور التي تحتاج إلى فهم واستنباط وحكم.

بل كان ﷺ يدرِّبُهم على الحكم والاجتهاد بين يديه، فعن عقبة ابن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء خصمان إلى رسول الله ﷺ يختصمان، فقال لي: «**قُم يا عقبةَ اقضِ بينَهُمَا**»، قلتُ: يا رسول الله أنتَ أولى بذلك مني، قال: «**وإن كان، اقضِ بينَهما، فإن اجتهدتَ**

= عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وهذا إسناد متصل ورجاله معروفون بالثقة، على أنَّ أهل العلم قد نقلُوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم».

(١) إعلام الموقعين ١: ٢٠٣؛ وانظر الصفحات التالية فقد أورد فيها جملة من الاجتهادات التي أقرَّها رسول الله ﷺ.

فأصبتَ فلك عشرةُ أجور، وإن اجتهدتَ فأخطأتَ فلكَ أجرٌ واحدٌ»[(١)].

ولذلك نجد عمرَ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول في كتابه الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري: «الفهمَ الفهمَ فيما يختلج في صدرِك ممَّا لم يبلغك في الكتاب أو السنَّة، اعرِف الأمثال والأشباه ثم قِس الأمورَ عند ذلك، فاعمَد إلى أحبِّهَا عند الله وأشبهها بالحقِّ فيما ترى»[(٢)].

٣ـ تَعَلُّم اللغاتِ الأخرى وانتشار حركة التَّرجمة :

سبق أن ذكرت أن ديننا هو دين العلم والمعرفة، وأمتنا هي أمة اقرأ، (وإن كانت اليوم لا تقرأ)، ولذلك نجد أن التَّعَلم واقتناصُ الفوائدِ واستفادة الحكمة أنى كان مصدرُها هو دَيْدَن هذه الأمَّة، والنبيُّ ﷺ علَّمَنَا أن نستفيدَ من تجارب الآخرين ومن علومهم، وأكبرُ دليلٍ على ذلك هو تكليفه لأسرى بدرٍ من المشركين ممن لا يملك الفداءَ بتعليم القراءة والكتابة لعدد من غِلمَان أهلِ المدينة، فقد ذكر ابنُ سعدٍ عن عامرٍ الشَّعبي قال: أَسَرَ رسولُ الله ﷺ يومَ بدرٍ سبعين أسيرًا، وكان يُفَادِي بهم على قَدْرِ أموالِهم، وكان أهلُ مكةَ يكتبُون، وأهلُ المدينةِ لا يكتُبون، فمن لم يكن له فداءٌ دَفَعَ إليه عشرةَ غِلمان

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن عمرو بن العاص٤: ٢٠٥، والدارقطني في سننه ٤: ٢٠٣ واللفظ له، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد٤: ١٩٥ وقال: رجاله رجال الصحيح، قال ابن حجر في الفتح ١٣: ٣١٩: وهذا الحديث فيه ضعف؛ قال الشيخ أبو غدة في الرسول المعلم ص١٥٣: وفيه غرابة في ذكر عشرة أجور.

(٢) سنن الدارقطني ٤: ٢٠٦ ـ ٢٠٧؛ وانظر: نصب الراية ٤: ٦٣.

من غِلمان المدينة، فعلَّمَهُم، فإذا حَذَقُوا فهو فداؤه[١].

وكذلك أخْذُه لفكرة حَفْرِ الخندق من سلمان الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي فكرَة فارسيَّة لم يكن يعرفُهَا العربُ.

وتَعَلُّم اللغاتِ الأخرى لتَرْجَمَة كلامِ أهلِهَا والتَّوَاصل معهم والاستفادة من تجاربهم وعلومهم، هو من قبيل العلم الذي سَنَّه لنا النبيُّ ﷺ، وذلك عندما أمرَ بعضَ أصحابِه بتعَلُّم لغةِ قومٍ آخرين للحَذَرِ منهم والتَّوَاصل معهم، فعن زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِن كِتَابِ يَهُودَ، قَالَ: «**إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي**»، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ، قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»[٢]، وعَن زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ»[٣]، وعنه أنَّه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أتحسنُ السُّريانيَّة؟**»، فقلت: لا، قال: «**فتَعَلَمْهَا، فإنَّه يأتينا كتبٌ**»، فَتَعَلَمَهَا في سبعةَ عشرَ يومًا[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ١: ٢٢.

(٢) ذكره البخاري في باب ترجمة الحكام مُعَلَّقًا (فتح الباري ١٣: ١٨٥)، وأخرجه أبو داود في العلم برقم: ٣٦٤٥؛ والترمذي واللفظ له في الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في تعليم السريانية برقم ٢٧١٥، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) أخرجه الترمذي في الاستئذان والآداب برقم ٢٧١٥؛ وقال: وَقَدْ رُوِيَ مِن غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ عَن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَوَاهُ الأَعْمَشُ عَن ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥: ١٨٢ برقم ٢١٦٢٧؛ والطبراني في الكبير ٥: ١٥٥برقم ٤٩٣٣؛ الحاكم في مستدركه في ذكر مناقب زيد ٣: ٤٧٧ برقم ٥٧٨١ وقال: صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيد بن ثابت، ووافقه الذهبي.

فَأَمْرُ النبيِّ ﷺ لأحد أصحابِهِ بتَعَلُّم لغةِ الآخرين هو تخطيطٌ منهُ وكذا استشرافٌ لما سيكُون، فدعوةُ الإسلام العالمية لا بُدَّ لحَمَلَتِهَا ودُعَاتِها من أن يكونوا على علم ودِرَاية كافية بما يقوله الآخر وبما يفكِّر به، ولذلك نجد أنَّ حركة التَّرجمة وتعلُّم اللغات الأخرى انتقل إلى جيلِ الصَّحَابة منَ الخلفاء الرَّاشدين ومن بعدَهم، ففي زمن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاء إليه هرمزان أحد رؤساء العجم، عمل المغيرةُ بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرْجُمَان بينَه وبين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأجاب عن كلِّ الأسئلة بالفارسية[١]، وقد كان عددٌ من الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون اللغة الفارسية[٢].

واستمرت حركةُ الترجمة وازداد الاهتمام بها في العصر الأموي، فكان لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طبيب من أشهر الأطباء يقال له: ابن أثال، وقد تَرْجَم لمعاوية عدةَ كتبٍ في الطِّب من اليونانية إلى العربية، كما تُرجمت له سيرُ سلاطين العالم، وكانت تقرئ عليه[٣].

ومن أبرز التراجم في العصر الأموي ترجمةُ الدواوين التي تمت في عصر الحجاج من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية[٤].

وأما العصر العبَّاسي فقد توسَّعت فيه حركة الترجمة، وتجاوزتِ الحدودَ، فتُرجِمَت فيه الكتبُ العلمية من طب وفلك ورياضيات،

(١) حركة الترجمة في العصر العباسي ص٢٤.
(٢) المصدر السابق ص٢٥.
(٣) المصدر السابق ص٢٦.
(٤) المصدر السابق ص٢٧.

وكتبُ الفِرَق والأديان، وكتب الفلسفة والمنطق والتنجيم وغيرها، وكان الرشيد كلَّما فتح بلدًا من بلاد الروم حمل معه منه عند مغادرته أثمنَ ما تحتويه مكتباته من علوم اليونان وفلسفتهم، وأنشأ للتَّرجمة معهدًا سمَّاه (بيت الحكمة)[١].

وقد بلغ عددُ اللغات التي تُرْجِمَت منها العلومُ ـ كما أحصاها أحدُ الباحثين ـ تسعَ عشرةَ لغةً، وشَمِلَت هذه الترجماتُ أكثرَ من ثلاثين عِلمًا[٢].

كما كان بعضُ علماء المسلمين يهتمُّ بتعلُّم اللغات والترجمة منها، من هؤلاء: الإمام محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ)، كان يتقن خمسَ لغات؛ وهي: العربية والسريانية والسنسكريتية والفارسية والهندية، وقد قال عنه المستشرق سارطون: كان البيروني من أعظم عظماء الإسلام، ومن أكابر علماء العالم[٣].

وكذا المبارك بن المبارك أبو بكر الضرير المعروف بالوجيه الواسطي (٦١٢ هـ) فقد كان يحسن الكلام بكلِّ لغة، من الفارسية، والتركية، والحبشية، والرومية، والأرمنية، والزنجية، فكان إذا قرأ عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية فهَّمَهُ إياه بالعَجَمِيَّة على لسانه[٤].

---

(١) حركة الترجمة في العصر العباسي ص٣٠ ـ ٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ ـ ٦١.

(٣) قيمة الوقت عند العلماء لأبو غدة ص٢٢.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧ : ٥٩.

ولا ننكر أنَّه كان لهذا التوسُّع الزائد في التَّرجمة آثارٌ سلبية عظيمة إلى جانب فوائدها الكثيرة، حيث داخل الثقافة الإسلامية جملةٌ من الأفكار الفلسفية، نتجَ عنها ظهور بعضِ الفرق المنحرفة، التي جعلت العالم الإسلامي يعيش مِحَنًا وفتنًا كقطع الليل المظلم، وقد تصدَّى العلماء للردِّ على شُبه هذه الفرق وبيان تهافتها، ولكن لا تزال آثار هذه الفلسفات متغلغلة في بعض تراثنا الفكري والثقافي.

٤ـ نقل الفقه الخاصِّ بالنساء ودقائق الحياة الزوجية من خلال تَعَدُّد زوجات النبيِّ ﷺ :

لم يكن زواجُ النبيِّ ﷺ من نسائه إشباعًا لشَهْوةٍ، أو تتميمًا لمتعةٍ، أو إجابة لداعي الهوى، إنما كان لحِكَمٍ بالغة، وليس أدلَّ على ذلك من زواج رسول الله ﷺ الأوَّل، حيث تزوَّج بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت أرملةً في الأربعين من عمرها، سبقَ أن تزوَّجَها ومات عنها رجلان، وهما: عتيق بن عائذ، وأبو هالة، وكانت تكبُر النبيَّ ﷺ بخمسةَ عشرَ عامًا، فلو كان النبيُّ ﷺ يبحث عمَّا يبحث عنه الشباب ـ وهو الحسيب النسيب الشريف في قومه ـ لتزوجَ بمن هي أقل منه سِنًّا، أو على الأقلِّ بمن تساويه في العمر.

ثم أقام رسول الله ﷺ مع خديجة وأمضى معها زهرةَ شبابِه إلى أن ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان قد ناهزَ الخمسين من العُمر، وبلغ سنَّ الشَّيخُوخة، الذي تضعُفُ فيه عادةً رغبةُ الرِّجال في النِّساء.

لقد كان لزواجِ النبيِّ ﷺ من زوجاته بعد أن بلغَ سنَّ الشيخوخة حِكَمٌ كثيرةٌ ومُتَشَعِّبَة، فإنَّ لكلٍّ منهنَّ قِصَّةٌ، ولكلِّ زواجٍ حِكمَة

وسببٌ[١]، ويمكن أن تُدْرَج هذه الحِكَمُ تحتَ عدةِ عناوين، فمنها ما هو تعليميٌّ، ومنها ما هو تشريعيٌّ، ومنها ما هو اجتماعيٌّ، ومنها ما هو سياسيٌّ[٢].

وإذا كنَّا نتحدَّثُ عن أثرِ الاستشراف والتخطيط النَّبوي في العلم والتعليم، فإننا نقول هنا: إن النبيَّ ﷺ أراد من زواجه بهذا العدد من الزوجات أن يجعل من كلِّ واحدة منهنَّ داعيةً إلى الإسلام، ومدْرَسَةً قائمةً بذاتها، تُعلِّم الناس وتفْتِيهم في أمور دينهم[٣].

ووجود هذا العدد من النساء يساعد على نقل كلِّ ما له علاقة بالمرأة إلى الأمَّة الإسلامية، بحيث يكون أمهاتُ المؤمنين أسوةَ النساء في العالم على اختلاف أحوالهنَّ ومشاربهنَّ[٤].

وهنا يحسُنُ أن نُورِدَ هذا الجوابَ الجامعَ في هذا الصدد الذي نقله عبدُ الحيِّ الكِتَّاني في كتابِه فقال: «ذكر التَّاجُ السبكِي في ترشيح التوشيح عن والده: أنَّ السرَّ في نكاح أكثر من أربع نسوة لرسول الله ﷺ؛ أنَّ اللهَ أراد نقلَ بواطنِ الشريعةِ وظاهرِها، وما يُستَحيى من ذكره وما لا يُسْتحيى، وكان رسولُ الله ﷺ أشدَّ النَّاس حياءً، فجعل اللهُ له نسوةً ينقُلْنَ من الشرع ما يرَيْنَه من أفعاله، ويسمعْنَهُ من أقواله، التي قد يُسْتَحيى من الإفصاح بها بحضرَة الرِّجال، فيَكْتَمِل نقلُ الشريعةِ،

(١) فقه السيرة للدكتور البوطي ص٦٥.
(٢) شبهات وأباطيل للصابوني ص١٣.
(٣) زوجات النبي ﷺ الطاهرات للصواف ص١٧.
(٤) الرسول ﷺ لسعيد حوى ١: ١٦١.

وكثرَ عددُ النساءِ لتكثير الناقلين لهذا النوع، ومنهنَّ عُرِفَ غالبُ مسائل الغُسل والحيض والعدة وغيرها، وأيضًا فقد نقلنَ ما لم ينقله غيرُهنَّ مما رأيْنَه في منامِه وحالةِ خَلْوَتِه، من الآيات البيِّنَات على نُبُوَتِه، ومن جِدِّه واجتهاده في العِبَادة، ومن أمورٍ يشهد كلُّ ذي لُبٍّ بأنَّهَا لا تكون إلا لنبيٍّ وما كان يشاهدها غيرُهُنَّ، فحَصَل بذلك خير عظيم»[(١)].

ولذلك نجد هذا الأثرَ واضحًا جليًّا من خلال ما نُقِل إلينا عن أمهات المؤمنين من الفقه النِّسَائي الذي لا يمكن أن يَتَعَرَّفَ عليه أحدٌ لولا نساءُ النبيِّ ﷺ، كما نقلُوا لنا أحوالَه الخاصَّة في بيته لتكون لنا أسوةً ومِثالاً في حياتنا، فهو قدوتنا وأسوتنا عليه الصلاة والسلام.

ونخلُص مما سبق: إلى أنَّه لا بُدَّ من تأهيل المرأةِ المسلمة بالعلم والمعرفة لتقوم بتعليم مثيلاتها كلَّ ما يَحْتَجْنَهُ من أمر دينهنَّ ودُنياهنَّ، فتعليمُ المرأةِ للمرأةِ أدْعَى للتأثير، وأقرب للقبول.

٥ـ اليقظة والحذَرُ، وتجنُّبُ تَكْرَارِ الأخطاء :

لا ينبغي للمؤمن الكامل الإيمان أن يكون مُغَفَّلاً ساذَجًا، بل ينبغي أن يكون يقظًا حازمًا، يدرك بفطنته وفهمه أبعاد كلِّ أمرٍ ودقائقَهُ وغوامِضَه، فيحذر مما يخاف سوءَ عاقبته قبل وقوعه، وهذا ما يسمَّى في علم المستقبليات بالنَّمطِ الحدْسِي، أو المنهج الحدسي، أما إذا وقع في خطأ علمي أو عملي، فينبغي عليه أن يُفِيدَ من خَطَئِه هذا

(١) التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية) ٢ : ٢٣٦.

لِيَجْتَنِبَ الوقوعَ فيه مرةً أُخرى، وهذا ما يُسمَّى اليومَ بالمنهج التَّجْرِيبي.

وما سبق تقرُيرُه هو ما تطَلَّع إليه رسولُ الله ﷺ في أفراد أمته، فقال ﷺ: «**لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِن جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»[(١)]، قال الإمام النووي في شرحه: «الْمُؤْمِن الْمَمْدُوح: هُوَ الْكَيِّسُ الْحَازِم الَّذِي لا يُسْتَغْفَل، فَيُخْدَع مَرَّة بَعْد أُخْرَى، وَلا يَفْطِن لِذَلِكَ»، ثم يقول: «[وفي الحديث]: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَن نَالَهُ الضَّرَر مِن جِهَة أَن يَتَجَنَّبهَا؛ لِئَلاَّ يَقَعَ فِيهَا ثَانِيَة»[(٢)]، ونقل ابنُ حجر عن الإمام الخطابي قولَه: «أَيْ: لِيَكُنِ الْمُؤْمِنُ حَازِمًا حَذِرًا، لا يُؤْتَى مِن نَاحِيَة الْغَفْلَة فَيُخْدَع مَرَّة بَعْد أُخْرَى»، ثم قال: «قِيلَ: الْمُرَاد بِالْمُؤْمِنِ فِي هَذَا الْحَدِيث: الْكَامِل الَّذِي قَد أَوْقَفَتْهُ مَعْرِفَتُه عَلَى غَوَامِض الأُمُور، حَتَّى صَارَ يَحْذَر مِمَّا سَيَقَعُ، وَأَمَّا الْمُؤْمِن الْمُغَفَّل فَقَدْ يُلْدَغ مِرَارًا»[(٣)].

ولهذا الحديث سببُ ورودٍ وهو: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَسَرَ أَبَا عَزَّة الشَّاعِرَ يَوْم بَدْر، فَمَنَّ عَلَيْه، وَعَاهَدَهُ أَلاَّ يُحَرِّض عَلَيْه ولا يَهْجُوَهُ، وَأَطْلَقَهُ فَلَحِقَ بِقَوْمِه، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى التَّحْرِيض وَالْهِجَاء، ثُمَّ أَسَرَهُ يَوْم أُحُد، فَسَأَلَهُ الْمَنّ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ الحديث[(٤)]، ولكن ورود الحديث لسبب ما لا يمنع عموم دلالته، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب برقم ٥٧٨٢؛ ومسلم في الزهد والرقائق برقم ٢٩٩٨ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٨: ١٢٥.

(٣) فتح الباري ١٠: ٥٣٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٨: ١٢٥.

كما قال العلماء.

ومما سبق: نستطيع أن ننزِّل قولَ النبيِّ ﷺ ونفهمَهُ في ميدان العلم والتعلِيم، فنقول: ينبغي على المؤمن أن يكون في خططه وأبحاثه ودراساته متسلحًا باليقظة والحذر لكي لا تضيع جهوده سُدى، فإذا ما قدَّر اللهُ تعالى فشلَ خططه وأبحاثه ودراساته فلا ينبغي أن يستسلم لليأس، بل عليه أن يستفيد من خطئه، فلا يقع فيه مرة ثانية.

** ** **

الخاتمة

وفيها : أهم نتائج البحث والتوصيات :

ـ السنة النبوية ذاخرة بالقيم الحضارية الرائعة، التي تدفع الأمة للأخذ بأسباب الرُّقي والتَّقدُّم، وتُوَاكب تطوُّرَ العلومِ والمعارف الإنسانية، ومن واجب المُهْتَمِّين بهذا الجانب العلمي أن يُظْهِرُوا هذه النفائسَ والدُّرَرَ، لِيثبتُوا للعالم السبق الحضاري لدينهم وتعاليم نبيهم، والقدرةَ على رِيَادة العالم والشهادة على الأمم.

ـ الاستشراف والتخطيط المستقبلي ليس غريبًا عن النصوص الشرعية من كتاب وسنَّة، ولكن يحتاج استجلاؤه وفهمُه مزيدًا من الفكر والتأمل وقَدْح الذهن.

ـ استخدام مصطلحي الاستشراف والتخطيط المستقبلي في النصوص النبوية التي أخبر فيها النبي ﷺ عن المستقبل فيه توسُّع وتجوُّز، وذلك لأننا نقطع بأن ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات هو إخبار عن وحي لا عن رأي، وإن كنَّا لا ننفي وجود بعضِ النُّصُوص التي كانت بمثابة اجتهاد منه ﷺ.

ولكي يسوغ لنا استخدام هذا المصطلح في فهم النصوص النبوية التي أخبر فيها النبي ﷺ عن المستقبل، فلا بدَّ من القول بأنَّ استشراف النبيِّ ﷺ كان بالوحي، وأنَّ الوحي هو من أرقى وأعظم وسائل استشراف المستقبل في النصوص الشرعيَّة، أمَّا بالنسبة لنا فهو

تعليم وإرشاد منه ﷺ لنستشرف المستقبل ونخطط له.

ـ الاستشراف والتخطيط للمستقبل لا بدَّ أن يقوم على دراسة واعية للماضي، وفهمٍ عميق للحاضر، واستيعابٍ تامٍّ للسُّنَنِ الكونية الرَّبَّانيَّة الحاكمة فيهما.

ـ لا بُدَّ منَ التَّأكِيدِ على أنَّ الأخبار المستقبلية التي وردت عنِ النبيِّ ﷺ إنَّمَا كانت تَرْمِي إلى تحقيق حِكَمٍ آنيَّةٍ، وهي التوجيه والتَّحْذير للأمَّة من أسبابِ الفساد وعوامل الانحلال، ومن أن تقع فيما سيقع به النَّاس في آخر الزمان، كما أنَّ البشارات كان من وظيفتها شحنُ الأمَّة بالأمَلِ في فتراتِ ضعْفِهَا وتقهقرها وانهزامها.

ـ التخطيط العلمي المستقبلي هو من أهم أنواع التَّخطيط؛ لأنَّه يُساعد على تحقيق مفاهيمِ الكفاءة، والتوازن، والفاعلية للموارد البشرية والمالية، كما أنَّه يُسْهِمُ في تعزيز القدرة على اتخاذ قرارات راشدةٍ تصبُّ في مصلحة الفَرْدِ والمجتمع.

ـ للاستشراف والتخطيط في السنَّةِ النَّبَويَّة آثارٌ واضحةٌ في ميدان العلم والتعليم في المجتمع الإسلامي، ومن هذه الآثار التي فهمتها من النصوص:

١ـ التأكيد على ضرورة الإخلاص في ميدان العلم والتعليم، والحذر من الرياء والنفاق فيهما.

٢ـ القيام بأعباء التعليم ابتغاء وجه الله تعالى، والاهتمام بطلبته، والحذر من كتمانه.

٣ـ اختيار المعلمين الأكفاء، ممن حسُنت سيرتهم، وسلِمت سريرتُهم، وتلَقَّوا علومَهم عن من شُهد لهم بالعلم والاستقامة.

٤ـ اندفاع جميع أفراد المجتمع المسلم للاستزادة من العلوم والمعارف، بل والتنافس في ذلك ابتغاء مرضاة الله، مع كسر كلِّ الحواجز والحدود من لغة وعرق وجنس وقوم.

٥ـ انتهاج المنهج الوسطي في التعليم مع تجنب الشدة والإرهاق للمتعلم.

٦ـ بذل الجهود الضخمة والعظيمة لحفظ السنة النبوية مع منتهى الدقة والأمانة، والحذر من التزيد والكذب على رسول الله ﷺ.

٧ـ التركيز على تعلُّم ما ينفع الفردَ والمجتمع في دينه ودنياه، والحذر من تعلم ما لا فائدة منه.

٨ ـ الحذر من الفتوى بغير علم، ووجوب تعيين الأكفاء لها.

٩ـ استمرار جهود الاجتهاد والتجديد الديني وفق الضوابط والأصول الشرعية المتفق عليها.

١٠ـ الحذر من المذاهب الفكرية الهدَّامة، والفرق الدينية الضالَّة.

١١ـ الحذر من فُشُوِ الجهل في المجتمعات الإسلامية.

١٢ـ الاهتمام بالعلوم الكونية، كالفَلك والطب وغيرهما، مع مواكبة التَّطور الحادث فيها، والاستفادة من جهود الآخرين.

١٣ـ ظهور التَّخصص العلمي في ميدان العلوم الشرعية والكونية.

١٤ـ الاهتمام بالمصادر التشريعية التَّأصيل لها.

١٥ـ الاهتمام باللغات الحيَّة الأخرى، وتأهيل عدد من أبناء المسلمين لترجمة علومهم النافعة، والاستفادة من تجاربهم، والتَّواصل معهم، وكذلك الحَذَرُ والتَّنَبُّه من مخططاتهم ومكائدهم.

١٦ـ العناية بدور المرأة في ميدان العلم والمعرفة، وتأهيلها للقيام برسالة التعليم لجنسها من النساء.

١٧ـ التزام اليقظة والحذر ـ أو ما يسمى بالمنهج الحدسي ـ في الدراسات والأبحاث العلمية، وذلك لتجنب الوقوع بالأخطاء، وعدم تكرارها في حال الوقوع فيها.

أما التوصيات فهي :

ـ التَّأْصِيل لعلم المستقبليات وفقَ رؤيةٍ إسلامية، وذلك بوضع الضوابط والمبادئ والمناهج المتعلقة به.

ـ دعوة المتخصصين والمهتمين بعلم المستقبليات والتخطيط الاستراتيجي من أبناء المسلمين، إلى استجلاء ذلك واستنباطه من خلال كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وإيجاد الحلول لكثير من مشاكل ومصائب المسلمين.

ـ دعوة المؤسسات التعليمية والأكاديمية لاعتماد تدريس القيم الحضارية في السنة النبوية، التي يندرج فيها علم الاستشراف والتخطيط المستقبلي.

ـ تشجيع طلبة الدراسات العليا لتناول أبحاث ومواضيع تتعلق

بعلم المستقبليات في ضوء السنة النبوية.

ـ الدعوة لإنشاء مراكز بحثية متخصصة تعنى بدراسة القيم الحضارية من خلال كتاب الله والسنة النبوية.

هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

** ** **

الفهارس

١ـ فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الصفحة

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية

لفظ الحديث والأثر	الصفحة

٣ـ فهرس المصادر والمراجع

- آداب الفتوى والمفتي والمستفتي للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ت ٦٧٦ هـ، تحقيق: بسام الجابي، طبع دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط٢/١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي ت ٦٨٤ هـ؛ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة؛ طبع مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب؛ ط/ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
- أخلاق العلماء للآجري ت ٣٦٠ هـ، تحقيق: فاروق حماده، توزيع مكتبة الفرقان ـ دمشق، ط١/١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
- الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، الطبعة الثالثة/١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.
- أدب المفتي والمستفتي للإمام ابن الصلاح ت ٦٤٣ هـ، تحقيق: الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، طبع مكتبة العلوم والحكم وعالم الكتب، ط١/١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
- أساس البلاغة لمحمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله
- استشراف المستقبل في الحديث النبوي للدكتور إلياس بلكا، نشر في سلسلة كتاب الأمة في الدوحة، في عدد ١٢٦ السنة

الثامنة والعشرون، رجب ١٤٢٩هـ.

- الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ، لزَيْنُ الْعَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْمِ بْنِ نُجَيْمٍ (٩٢٦ ـ ٩٧٠ هـ)، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، نشر دار الجيل ـ بيروت، ط١/١٤١٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ت ٧٥١ هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبع: دار الجيل ـ بيروت، ١٩٧٣م.
- أوجز المسالك إلى موطأ مالك، للعلامة محمد زكريا الكاندهلوي ت ١٤٠٢ هـ، تحقيق: الدكتور تقي الدين الندوي، نشر مركز الشيخ أبي الحسن الندوي ـ الهند؛ ط١/١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ت ٧٩٤ هـ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ط٢/١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
- بذل المجهود في حل أبي داود للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ت ١٣٤٦ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحافظ نور الدين

الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ـ المدينة المنورة، ط١/١٤١٣ ـ ١٩٩٢.

- التخطيط للتربية والتعليم لمحمد علي حافظ، طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.
- التذكرة في علم الهيئة لنصير الدين الطوسي، تحقيق: لدكتور عباس سليمان، طبع دار سعاد الصباح ـ الكويت، ط١/١٩٩٣م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت؛ الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤ هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبع: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.
- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، طبع دار المعرفة ـ بيروت، ط٢.
- تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت ٦٠٤ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت، ط/١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي،

تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، طبع دار الفكر، الطبعة الأولى:١٣٩٥ ـ ١٩٧٥م.

- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي ٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ، طبع المكتبة المنيرية ـ مصر. (مجلد واحد في جزئين)
- الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)؛ تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/ ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.
- جند الله تخطيطًا للعلامة سعيد حوى، طبع دار عمار، بيروت ـ عمان، ط١/ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري، تحقيق: يوسف محمد فتحي، طبع دار الصحابة بطنطا، ط١/ ١٩٩٢م.
- حركة الترجمة في العصر العباسي لأورنك زيب الأعظمي، طبع دار الحرف العربي ـ بيروت، ط١/ ٢٠٠٥م.
- ذم الكلام وأهله؛ لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ت ٤٨١ هـ، تحقيق عبد الرحمن عبد العزيز الشبل؛ الناشر مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ط/١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبو

غدة، طبع دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط١/١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

- الرسول ﷺ للشيخ سعيد حوى، ط/١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
- رواد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية للدكتور علي الدفاع، طبع مكتبة التوبة ـ الرياض، ط٢/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
- زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، لمحمد محمود الصواف، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط/١٩٧٤م.
- السلسلة الصحيحة؛ لمحمد ناصر الدين الألباني، طبع مكتبة المعارف ـ الرياض، ط١/١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- سنن أبي داود، ترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي، ترقيم أحمد شاكر.
- سنن الدارقطني لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، طبع دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦م.
- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للشيخ محمد علي الصابوني، طبع دار القلم ـ بيروت، ط/١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية / ١٣٩٢ هـ.
- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.
- الصحاح للجوهري
- صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، بتحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت، ط/ ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠م، الأحاديث مذيلة بأحكام الأعظمي والألباني عليها.
- صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور البغا، دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت ـ ط٣ / ١٤٠٧.
- صحيح مسلم، ترقيم عبد الباقي، دار إحياء التراث ـ ط١ / ١٣٧٥هـ.
- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي للإمام أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي ت ٦٩٥ هـ، طبع المكتب الإسلامي ـ دمشق، ط٣/ ١٣٩٧هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم

آبادي أبو الطيب، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية/ ١٤١٥هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ط/ ١٣٧٩هـ.
- فقه السيرة للدكتور البوطي، طبع دار الفكر ـ دمشق؛ ط٤/ ١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للحافظ المناوي، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي
- قيمة الوقت عند العلماء لعبد الفتاح أبو غدة، طبع مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب؛ ط١/١٩٨٤م.
- الكفاية في علم الرواية للإمام الحافظ المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، تحقيق الدكتور أحمد عمر هاشم، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط١/١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، طبع دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر

الهيثمي، تحقيق: عبد الله الدرويش، طبع: دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٢ هـ.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، لعبد الرحمن النجدي الحنبلي، طبع وإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.
- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٢/ ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣م.
- مسبوك الذهب في فضل العرب لمرعي بن يوسف الكرمي ت ١٠٣٣ هـ، تحقيق: د.نجم عبد الرحمن خلف، طبع: مكتبة الرشد ـ الرياض، ط١/ ١٩٩٠م.
- المستدرك للحاكم النيسابوري محمد بن عبدالله أبو عبدالله، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- المستقبليات والتعليم للدكتور محمد صالح نبيه، طبع دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ط١/١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- المسلمون وعلم الفلك لمحمد الصواف، توزيع الدار السعودية للنشر ـ جدة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، نشر مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني ت ٨٤٠ هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، طبع دار العربية، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، طبع دار الفكر ـ دمشق، ط٣/ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
- المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار ـ بيروت ، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.
- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، طبع: دار النشر و دار الدعوة، تحقيق:مجمع اللغة العربية.
- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للقاضي أبي الوليد ليمان بن خلف الباجي ت ٤٩٤ هـ؛ مطبعة السعادة ـ مصر، ط١/ ١٣٣١ هـ.
- منهج السلف في السؤال عن العلم للشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة، طبع دار القلم ـ دمشق، ط١/١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩ هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، نشر مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية ـ أبو ظبي ـ

الإمارات، ط١/ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م.

- الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي ت ٧٩٠ هـ، شرح وتخريج عبد الله دراز، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدراية؛ للشيخ عبد الحي الكتاني، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، طبع المكتبة العلمية ـ بيروت، ط/ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

٤ـ فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

المقدمة: .....

المبحث الأول: ويحوي أربعة مطالب.....

المطلب الأول: معنى الاستشراف والتخطيط: .....

المطلب الثاني: المستقبل في المنظور الإسلامي: .....

المطلب الثالث: مكانة العلم والتعليم في الإسلام: .....

المطلب الرابع: الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم: ...

المبحث الثاني: أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعلم في ضوء السنة النبوية، ويحوي مطلبين:

المطلب الأول: آثار الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم.....

١ـ تحري الإخلاص في طلب العلم .....

٢ـ تعليم العلم والحذر من كتمانه، والاهتمام بطلبته .....

٣ـ تخير المعلمين العدول.....

٤ـ التنافس وبذل غاية الجهد في طلب العلم النافع .....

٥ـ التَّرَفُّقُ بالمُتَعَلِّم، وعدمُ إرهاقه والتَّشديدِ عليه .....

٦ـ الابتعاد عن تعلم ما يضر المسلمين، وعن ما لا فائدة منه .....

٧ـ بذل الجهود العظيمة لنقل حديث النبي ﷺ مع الدقة المتناهية، والحذر من الكذب على رسول الله ﷺ: .....

٨ـ الاحتراز من الفتوى بغير علم، وتعيين الأكفاء لها: .....

٩ـ السعي للتجديد مع الاطمئنان بأن الله تعالى يحفظ دينه: .....

١٠ـ الاهتمام بالعلوم الفلكية .....

١١ـ الحذر من الفرق الضالة والمذاهب الفكرية الهدامة .....

١٢ـ الحذر من فشو الجهل في المجتمع .....

المطلب الثاني: آثار التخطيط في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية:

١ـ التخصص في ميدان العلوم: .....

٢ـ التأصيل لمصادر التشريع: .....

٣ـ تعلم اللغات الأخرى وانتشار حركة الترجمة: .....

٤ـ نقل الفقه الخاص بالنساء ودقائق الحياة الزوجية من خلال تعدد زوجات النبي ﷺ: .....

٥ـ اليقظة والحذر، وتجنب تكرار الأخطاء: .....

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات: .....

الفهارس

١ـ فهرس الآيات.....

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية.....

٣ـ فهرس المصادر والمراجع .....
٤ـ فهرس الموضوعات .....